عشر مقالات

في التصوف الحضرمي



بقلم

أكرم بن مبارك عصبان

منشورات

إحسان

١٤٤٥ – ٢٠٢٣

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله على سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فهذه عشرُ مقالاتٍ في التصوفُ الحضرمي، أحببتُ أن أجمعَ شتاتِها في هذا السفرِ، حتى يطلّع عليها الناظرُ منظومةً في عقدٍ واحدٍ.

وهي مقالاتٌ تطوفُ بنا في أوديةِ التصوفِ الحضرمي وشعابِه، ولا عجبَ في حالِ من أعرضَ عن العلم، والتمسكِ بالكتابِ والسنةِ إن يتسلل إليه من عقائدِ الغلاةِ ما يظنّ أنها من طريق صوفية الزهدِ، وما هي من طريق صوفيةِ الزهدِ، فقد آل الحالُ ببعضهم أن خلع على أقطابِ الطريقةِ ألقاباً وصفاتٍ ألصق بمقامِ الربوبيةِ منها بمقام النبوةِ فضلاً عن مقام الولايةِ، ومناقب وكرامات هي بالخرافات أشبه، واتخذوا الشيوخ أندادا، وأضحت زيارة القبور والأضرحة لقضاء الحوائج بعدما أن كانت للعبرة وتذكر الآخرة.

وهذه المقالاتُ أنواعُها شتى، ولكنّ جنسَها واحدٌ، تكشفُ اللثامَ عن حقيقة طائفةِ ابن عربي حامل لواءِ الوحدة، وتغوصُ في تفكيكِ المصطلحات الغامضةِ مثل تحمّل الأذى عن الخلقِ، ولطافة الحالِ، وتناقشُ المقالات الفاسدةِ التي أضرّت بالعقيدةِ، حتى ادعت طائفة من الصوفية أنهم يضمنون الجنةَ ويملكون الشفاعة،

وتحذّرُ من الترويجِ للشطحاتِ والخرافاتِ، وتعرّجُ على جهودِ بعض علماء حضرموتَ وأدبائها في التصدّي لانحرافات الصوفية.

فأيّ قلبٍ يشعُّ بنور الإيمانِ لا يشمئزُّ من هذه الطوامِ التي نحن واردون سوقها، وأيّ عينٍ لا تذرفُ الدمعَ على التوحيدِ وهي تشاهدُ المناظرَ التي نحن قادمون على عرضِها، وأيّ عقلٍ مستنيرٍ لا ينكرُ تلك المخازي والترهات، وأيّ جلدٍ لا يقشّعرُّ من ذكرها، فيا لله كم شوّهت هذه الخرافات جمالَ الإسلام، والذي يصلُ إلى خاتمةِ المقالاتِ يحمدُ الله تعالى شاكرا له على السلامةِ من هذه الاعتقادات الفاسدة.

المقالاتُ

المقالة الأولى

من الفتاوى العدنية تكفير طائفة الوحدة والاتحاد

للعلامة عبدالله بن عمر بامخرمه ت ٩٧١ هـ

تحقيق

أكرم بن مبارك عصبان

إن مفاهيم غلاةِ الصوفية قد دنّست مسمى التصوف، فلم يعد يمت إلى الزهد بقرابة، وذلك بعدما تسللت إليه مفاهيم طائفة ابن عربي صاحب كتاب الفتوحات والفصوص وأضرابه من أصحاب الوحدة، القائلين بأقوال الملاحدة، وراجت عند كثير من أصحاب الطرق الصوفية، وصاروا يكنون عنها ولا يصرحون، فالواجب تمييز الزهاد عن هؤلاء الذين أفسدوا التصوف قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: (فإنّ ابنَ عربِيّ وأمثالَهُ وإن ادَّعوا أَنهم منّ الصوفيةِ فهم من صوفِيةِ الملاحِدَةِ الفلاسِفةِ لَيسوا مِن صوفِيةِ أَهلِ العِلمِ فَضلًا عَن أَن يَكونوا مِن مشايِخِ أَهلِ الكتابِ وَالسنةِ كالفضَيل بنِ عياضٍ وَإِبراهِيمَ بنِ أَدهمَ وَأَبِي سلَيمانَ الداراني ومعرُوف الكَرخِي والجنيد بنِ محَمدٍ وسهلِ بنِ عَبدِ اللهِ التستري وَأَمثالِهِم رضوان اللهِ عَلَيهِم أَجمَعِين). ا هـ.

وللفقيه عبدالله بن عمر بن عبدالله بامخرمة جهد مشكور في هذا الباب وردت نتف منه في الفتاوى العدنية أحببنا أن نسلط الضوء عليه بالتحقيق والتعليق، أجاب فيها على سؤالين في هذا الموضوع، وأفاد وأجاد بما يروي الغليل ويشفي العليل، وأتى على شبهاتهم من القواعد، واجتث أصولهم الفاسدة الكفرية التي تبنى عليها كثير من الفروع.

وصرح بكفر تلك العقائد الباطلة، واشتد نكيره على معتقديها ومحبي أصحابها، وهي عقائد زائفة يجدها المتأمل بادية في ثنايا كتب الصوفية من وراء جدر من التمويهات والتلبيسات.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الجهد في الدارين آمين.

ترجمة صاحب الفتاوى العرنية

هو العلَّامةُ تقيُّ الدِّينِ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بن عبد اللهِ بن أحمد بامخرمة الذي يطلق عليه الشافعي الصغير لسعة علمه، ولذا فقدْ صرَّح حامدٌ بنُ عمرَ حامد باعلوي (إنّ الشيخَ عبدَ الله بامخرمة أوسعُ علماً مِن ابن حجَر) يعني الهيتمي صاحبَ التحفة.(١)

وفي المسألةِ السادسةِ والأربعين من الفتاوى الهجرانيةِ من باب الحيضِ يقول العلَّامةُ بامخرمة: (لمَّا حجَجْتُ في سنةِ ستٍ وأربعين وتسعمائة اجتمعتُ بالشيخ أبي الحسنِ البكريِّ وتلميذِه ابن حجرٍ وذاكرتُ كلاً منهما على حدَه في هذه المسألةِ فخلَّطا فيها تخليطاً لا يصدرُ ممن يعرفُ الفقهَ، فعرَّفتُهما بتخليطِهما ورددتُه عليهما).(٢)

وللشيخ بامخرمة نكتٌ وتعليقاتٌ على تحفة ابن حجر، كما أن له تعقبات على فتاويه حدتْ هذه التعليقاتُ والتعقباتُ بالشيخ عبدُ الرحمن بنُ عبيد الله السقاف أن يقول: (وما زِلنا نتلقَّى من أفواه الرجالِ عن الشيخ عبد الله بن عمر بامخرمة أنه يحرِّمِ الإفتاء من كتب ابن حجر، فنحسبُ أنه غيران حملَه على ذلك تنافسُ الأقران، ثم ظهرَ بعد التفكيرِ، أن قد أصابَ فلا نكير).(٣)

---

(١) المقاصد السنية لمحمد بن عبد الله باسودان ص ٣٨ والمعتمد ما قاله ابن حجر

(٢) الهجرانية مخطوطة، وقد قال ابن حجر في الفتاوى الكبرى (ولقد وقعت بين فضلاء اليمن مباحث في عويصاته – الحيض – حتى حج بعضهم ممتحناً أو مسائلاً عنها فألفت تأليفاً نفيساً فغلب الحسد على بعض من لا توفيق عنده فسرق ذلك التأليف قبل كتابة نسخة أخرى منه ...).

(٣) ذكر ذلك في صوب الركام في تحقيق الأحكام (١/٥).

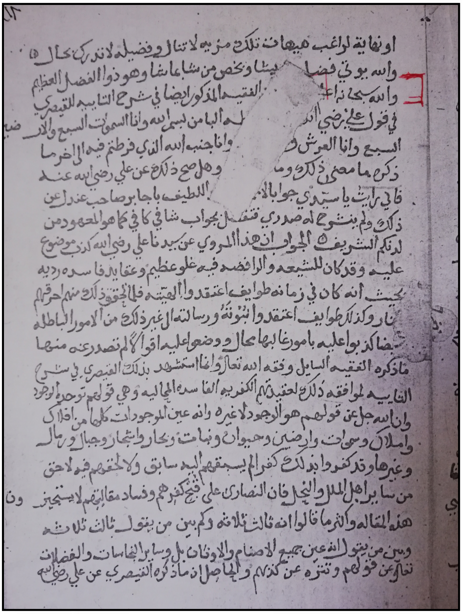
وقد أثنى بامخرمة على الصوفيةِ القائمةِ على الزهدِ والعبادةِ، وفرّقَ بينها وبين أهل الوحدة و الاتحاد، فهو يثني على التصوفِ الذي مبناه على مراقبةِ اللهِ والخوفِ منه كالتي تميز بها الرعيلُ الأولُ مثلُ الجنيدِ فقد مدحَه على قوله: (إنها لا تقعُ النكتةُ من نكتِ القومِ في قلبي فلا أقبلُها إلا بشاهدٍ من الكتابِ والسنةِ).

قال بامخرمة: وقد دلَّ قولُه هذا على أنَّها تقعُ نكتٌ بهم، وتنقدِحُ في خواطرِهم، وقد يركنُ إليها بعضُهم، ويعدُّها علماً وأنه ـ أعني الجنيد رحمه الله – لم يغترَّ بذلك، ولا ركنَ إليه، بل ردَّه إلى شهادةِ الكتابِ والسنةِ، فيحقُّ فيه من أنه سيد الطائفة).

فالشيخ بامخرمة يثني على أهل التصوف، ومرادُه الزهادُ كما أنه يوضح بعضَ مصطلحاتِهم كالفناءِ وغيره، ولكنه في الوقت نفسه يرى خطورةَ الذين تكلموا في التوحيدِ والعقائدِ بالفلسفةِ كأهل الوحدة، و لا يخافُ لومةَ لائم في التحذير منهم، وقد أفردَ فيهم كتاباً أسماه (حقيقةُ التوحيدِ وصحيحُ الاعتقادِ في تكفيرِ طائفةِ الوحدةِ والاتحادِ) وينتظمُ بذلكَ في سلكِ فقهاءِ اليمنِ كابن المقرئ وغيره الذين ناصبُوا هؤلاء المتصوفةَ العداءَ، ونازعوهم نزاعاً عنيفاً حينما فشا اعتقادُ مذهبِ الوحدة، ولئن فاتنا كتابُه المذكور آنفا فقد ظفرْنا بما يدلُّنا عليه في كتاب الرقائق من الفتاوى العدنية المخطوطة، ولا يضيرُنا ما عدا به المخالفُ منْ طمسِ بعضِ كلماتِها، فالمفسدة الصغيرة تحتمل في سبيل المصلحة الكبيرة وبالله التوفيق.

- صورة من المخطوطة

من مخطوطة الفتاوى العدنية.


او نهاية لراغب هيهات تلك مزيه لا تنال وفضيله لا تدرك بحال
والله يوتي فضل[illegible]يشا ويخص من شا بما شا وهو ذو الفضل العظيم
والله سبحانه اع[illegible] الفقيه المذكور ايضا في شرح التاييه للقيصري
في قول علي رضي الله [illegible]له البا من بسم الله وانا السموات السبع والارضين
السبع وانا العرش و[illegible] وانا جنب الله الذي فرطتم فيه الى اخر ما
ذكره ما معنى ذلك وما [illegible] وهل صح ذلك عن علي رضي الله عنه
فاني رايت يا سيدي جوابا الا[illegible] اللطيف باجابر صاحب عندل عن
ذلك ولم ينشرح له صدري فتفضل بجواب شافي كافي كما هو المعهود من
لدنكم الشريف الجواب ان هذا المروي عن سيدنا علي رضي الله كذب موضوع
عليه وقد كان للشيعه والرافضه فيه غلو عظيم وعقايد فاسده رديه
بحيث انه كان في زمانه طوايف اعتقدوا الهيته فلما تحقق ذلك منهم احرقهم
بالنار وكذلك طوايف اعتقدوا نبوته ورسالته الى غير ذلك من الامور الباطله
ايضا كذبوا عليه باموراغا لبها محال ووضعوا عليه اقوالا لم تصدر عنه منها
ماذكره الفقيه السايل وفقه الله تعالى وانما استشهد بذلك القيصري في شرح
التاييه لموافقه ذلك لعقيدتهم الكفريه الفاسده الحاليه وهي قولهم توحيد الوجود
وان الله جل عن قولهم هو الوجود لا غيره وانه عين الموجودات كلها من افلاك
واملاك وسموات وارضين وحيوان ونبات وبحار واشجار وجبال ورمال
وغيرها وقد كفروا بذلك كفرا لم يسبقهم اليه سابق ولا لحقهم فيه لاحق
من ساير اهل الملل والنحل فان النصارى على قبح كفرهم وفساد مقالتهم لا يستجيزون
هذه المقاله واكثر ما قالوا انه ثالث ثلاثه وكم بين من يقول ثالث ثلاثه
وبين من يقول انه عين جميع الاصنام والاوثان بل وساير النجاسات والفضلات
تعالى عن قولهم وتنزه عن كذبهم والحاصل ان ماذكره القيصري عن علي رضي الله

كتبه/ أكرم بن مبارك عصبان

المسألة الأولى

قال الفقيه المذكور أيضاً[١]: في شرح التائية للقيصري[٢] في قولِ علي رضي الله عنه: أنا نقطةُ الباءِ مِن بسمِ الله، وأنا السماواتُ السبعُ، والأرضينُ السبعُ، وأنا العرشُ، وأنا الكرسيُّ وأنا جنْبُ اللهِ الذي فرَّطتم فيه إلى آخر ما ذكره، ما معنى ذلك؟

وهل صحَّ ذلك عن عليٍّ رضي الله عنه؟ فإني رأيتُ ـ يا سيِّدي ـ جواباً للفقيه عبدِ اللطيف باجابر صاحبِ عندل عن ذلك[٣]، ولم ينشرحْ له صدري، فتفضَّلْ بجوابٍ شافٍ كافٍ كما هو المعهودُ من علمِكم الشريف.

---

(١) المراد به الشيخ محمد بن عبد القادر بن أحمد الذي ورد ذكره في المسألة التي قبل هذه حيث قال (مسألة من الفقيه الفاضل جمال الدين محمد بن عبد القادر بن أحمد رحمه الله تعالى).وسؤاله عن الحديث الذي رواه البخاري عن مطالبة العباس وفاطمة رضي الله عنهما أبا بكر أرض فدك وسهم خيبر وما فيه من إشكال في الزهد في الدنيا وما ورد في هجرها، فأجاب الشيخ بامخرمة بما يغيض الرافضة، ويدحض إفكهم في الدندنة على هذه المسألة. ولعل الفقيه المذكور هو جمال الدين محمد بن عبد القادر بن أحمد بن أبي بكر بن إسرائيل بن إسماعيل بن محمد بن عمر الإسرائيلي الحباني ت ١٠١٥ هـ وقد امتح الفقيه بامخرمة بمدائح، وكان والده العلامة عبد القادر يجل الفقيه بامخرمة ويفضله على والده الشيخ عمر الصوفي، بل كان معظم تحصيل الفقيه بامخرمة وجل انتفاعه به، وحصل بينهما مناظرات علمية.

(٢) داود بن محمود القيصري أديب من أهل قيصرية صاحب مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم، وشرح التائية لابن الفارض ت ٧٥١ هـ.

(٣) أما عبد اللطيف باجابر فلم أظفر له بترجمة، وأما عندل فقد كانت مدينة عظيمة للصدف، ويسكنها آل باجابر، وكان امرؤ القيس بن حجر يأتيها من ذلك قوله :

كأني لم ألهو بدمون ليلة ولم أشهد الغارات يوماً بعندل

الجواب

إنَّ هذا المروي عن سيِّدنا عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ كذبٌ موضوعٌ عليه، وقد كانَ للشيعةِ والرافضةِ فيه غلوٌّ عظيمٌ، وعقائدُ فاسدةٌ رديئةٌ بحيثُ أنه كان في زمانِه طوائفُ اعتقدوا إلهيتَه، فلما تحقَّقَ ذلك منهم أحرقَهم بالنار، وكذلك طوائفُ اعتقدوا نبوَّتَه ورسالتَه إلى غير ذلك من الأمورِ الباطلِة.(١)

وأيضاً كذبوا عليه بأمورٍ غالبُها محالٌ، ووضعوا عليه أقوالاً لمْ تصدُرُ عنه، منها ما ذكرَه الفقيهُ السائلُ ـ وفَّقه الله تعالى ـ وإنما استشهدَ بذلك القيصريُّ في شرحِ التائية لموافقةِ ذلك لعقيدتِهم الكفريةِ الفاسدةِ المحاليةِ، وهي قولُهم بوحدةِ الوجودِ، وأنَّ اللهَ ـ جلَّ عن قولِهم ـ هو الوجودُ لا غيرُه، وأنه عيْنُ الموجوداتِ كلِّها، من أفلاكٍ وأملاكٍ وسماواتٍ وأرضينَ وحيوانٍ ونباتٍ وبحارٍ وأشجارٍ وجبالٍ ورمالٍ وغيرها.

وقد كفروا بذلك كفراً لم يسبقْهم إليه سابقٌ، ولا لحقَهم فيه لاحقٌ من سائرِ أهلِ المللِ والنحلِ، فإن النصارى على قُبْحِ كفرِهم وفسادِ مقالتِهم لا يستجيزونَ هذه المقالةَ، وأكثرُ ما قالوا أنه ثالثُ ثلاثة، وكمْ بينَ مَن يقولُ: ثالثُ ثلاثةٍ وبين من يقولُ إنه عينُ جميعِ الأصنام والأوثان، بل وسائرِ النجاساتِ والفضلاتِ تعالى عن قولِهم، وتنزَّه عن كذبِهم، والحاصلُ أنَّ ما ذكرَه القيصريُّ عن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ

(١) ذكر أبو المظفر الاسفراييني في الملل والنحل أن الذين أحرقهم علي طائفة من الروافض ادعوا فيه الإلهية وهم السبائية وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهوديا ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة، قال الحافظ ابن حجر ١٢ /٢٧٠: وأصله حديث أبي طاهر المخلص أنه قيل لعلي أن هنا قوما على باب المسجد يدعون أنك ربهم فدعاهم وفيه أنه أحرقهم بالنار.
والغلاة منهم كم ادعى إلهيته كالنصيرية وشر منهم الإسماعيلية ومنهم من ادعى نبوته وهؤلاء كفار مرتدون انظر منهاج السنة النبوية ٥ /٤.

مبنيٌّ على هذه الطريقةِ الكفريةِ التي لم يقلْها قبلَهم قائلٌ منذ خلقَ اللهُ الخلقَ إلى عصرِهم لعنَهم اللهُ وأخزاهم.

فإن قلتَ: كيف وجه[١] ذلك على مذهبهم هذا؟

قلتُ: وجهه أنه إذا كان عندَهم أن الإنسان عيْنُ الحقِّ تعالى، وأن الحقَّ عيْنُ الموجوداتِ التي منها العرشُ والكرسيُّ والسمواتُ والأرضون وغيرها لزِمَ من ذلك أن يكونَ الإنسانُ عينَ العرشِ والكرسيِّ وعينَ السمواتِ والأرضين وغيرها، وأنه جنْبُ اللهِ الذي فرَّطتُم فيه إلى غير ذلك.

فإن قلتَ: كيف يصحُّ من القيصري ومَن جرى على طريقتِه أن يجعلوا ما ذكروه عن سيِّدنا عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ مبنياً على ما يقولونه مِن وحدةِ الوجود! وذلك لأنهم إذا قالوا ذلكَ وردَ عليهم أن غيرَ سيِّدنا عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ من سائرِ الموجوداتِ كهو في ذلك! حتى أنه يصحُّ في كلِّ إنسانٍ، بل وفي كلِّ الدوابِ والحشراتِ وغيرها أن يقالَ أنَّها عينُ العرشِ والكرسيِّ والأرضين، وأنَّها جنْبُ الله الذي فرطتُم فيه، لكونِ الجميعِ عينَ الوجودِ المطلقِ الذي هو معبودُهم على زعمهم؟

---

(١) كلمة غير واضحة بالأصل.

قلت: همْ لا يبالونَ بهذا الإيراد، ولا يحترِزون عنه، بدليلِ صنيعِ ابنِ الفارض[١] في كثيرٍ من أبياتِ قصيدتِه التي شرحَها القيصريُّ من ذلك قوله:

وصرّحْ بإطلاقِ الجمَال ولا تقلْ   بتقييدِه ميلاً لزُخرفِ زينةِ

إلى أن قال :

وما ذاكَ إلا إنْ بَدَتْ بمظاهرٍ   فظنُّوا سواها وهيْ فيها تَجلَّتِ
بدتْ باحتجابٍ واختفتْ بمظاهرِ   على صبَغِ التلوينِ في كلِّ برزةِ
كذاكَ بحكمِ الاتحادِ بحسنِها   كما ليْ بدتْ في غيرِها وتزيَّتِ
بدوتُ لها في كلِّ صبٍّ مُتيَّمٍ   بأيِّ بديعٍ حسنُه وبأيَّتِ
وليسوا بغيري في الهوى لتقدُّمٍ   علي لسبقٍ في الليالي القديمةِ

فانظرْ كيفَ ادَّعى أنه عينُ العشَّاقِ الذين تقدَّموا عليه بالزمان كقيسِ لبنى وغيره!

قال القيصريُّ في شرحِه لهذا الكلام: (أي وليسَ العشاقُ السابقون عليَّ بالزمان غيري لأجلِ تقدُّمِهم فأسبقهم علي لياليا وأياما، فإني أنا الظاهرُ في صورةِ تلك الليالي والأيامِ كما ظهرتْ في صورتي هذه، وصحةُ هذا الكلامِ

(١) عمر بن علي الحموي الصوفي المشهور بابن الفارض صاحب التائية أو الخمرية ت ٦٣٢ هـ، قال ابن كثير في البداية: إنه نظم التائية على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد.

ليستْ من التناسخِ بل بحكمِ اتحادِه بالهويَّة الإلهيةِ الظاهرةِ في صورةِ الأكوانِ جميعها). [(١)]

وما ذكره الفقيهُ السائلُ عنه مما نسبَه إلى سيِّدنا عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ [(٢)] كمَنْ يقول هذا الكلامَ كون ابن الفارضِ ادعى أنه عينُ العاشقين الذين قبلَه، وأنه عينُ الوجودِ المطلقِ، وتبجَّحَ بذلك وافتخرَ، ولم يلتفتْ إلى غيره من سائرِ الكونِ والموجوداتِ يتصف بذلك أيضا حتى الوزغةُ والذرَّة والبعوضة وأقلّ منها يرون أنَّ ما أورده عن سيدنا علي رضي الله عنه مبنياً على ذلك!

نعم قد يعتذرون عن الإيرادِ السابقِ بأن نسبةَ ما ذُكرَ إلى الإنسانِ الكاملِ أقعد وإن شاركَه في ذلك غيرُه لمعرفتِه بأنه عينُ الوجودِ المطلقِ، وتحقُّقه بمقامِ الجمعِ ذوقا وحالا، ولكنْ هذا عذرٌ لا ينفعُ، وجوابٌ لا يشفي، غير أنَّهم لارتكابِهم المحالاتِ والمتناقضاتِ لا يبالون بما يقولون.

وبالجملةِ فهم أشرُّ المخلوقين، وأكفرُ الكافرين، وأضلُّ الزنادقةِ المارقين، شاركوا أهلَ الأصنامِ والأوثانِ في اعتقادِ ألوهيتِها وزادوا عليهم باعتقادِ كونِها عينَ الحقّ تعالى اللهُ عن قولِهم علوّاً كبيراً.

---

(١) يوضح القيصري ما افتراه ابن الفارض أن الذات تعينت في صورة النساء المذكورات، ويتجلى لها في صورة العشاق، ثم يزعم أنه هي، فيقول بعد هذه الأبيات:

وما زلت إياها وإياي لم تزل ... ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

وليس معي في الكون شيء سواي ... والـ معية لم تخطر على ألمعيتي

(٢) كلمة غير واضحة بالأصل.

وكذلك اعتقدوا جميعَ ما يعتقدُه اليهودُ والنصارى وغيرُهم من الكفرةِ، وما تعتقدُه أهلُ البدعِ والضلالاتِ في القيامةِ والجنةِ والنارِ، وغير ذلك، وزادوا باعتقادِ محالات متناقضةٍ لا يقولُها اليهودُ والنصارى، ولا أهلُ البدعِ بحيث أنه قيل لبعضِهم أنتَ نصيريٌّ فقال النصيري جزءٌ مني.(١)

فلعنَهم اللهُ، وأخزاهم، ودمَّرهم وأفناهم، وطهّرَ الأرضَ من أجسادِهم، ونزَّهها من كفرِهم، وفسادِهم، ولعن مَن يحبُّهم، ويتأوَّلُ لهم مع علمِه بفسادِ عقائدِهم ما دام الملون، وتعاقبَ الجديدان، فلقدْ عمَّ ضررُهم وطارَ شررُهم وغرَّوا أممًا بما لبَّسوا به من إظهارِ سلوكِ طريقةِ الصوفيةِ وهم يصدُّون عنها، ويذبُّون منها، وإنما جعلوها شبكةً لأربابِ العقولِ الضعيفة، والآراءِ السخيفة.

وأما ثناءُ مَن أثنى عليهم فهو إمَّا يعتقدُ ما يعتقدون فهو منهم، فلا عبرةَ بثنائِه عليهم، ومدحِه إياهم، وإما لا يعتقدُ ذلك، ولكنه صوفيٌّ سمعَ بأنهم صوفيةٌ أهلُ عبادةٍ وزهادةٍ فأثنى عليهم من هذا الوجه مع عدمِ معرفتِه لعقائدِهم الفاسدةِ الكفريةِ، وعدمِ وقوفِه على تصانيفِهم وما فيها من الضلالِ المحالِ فلا يكونُ ثناؤه عليهم حجةً.

---

(١) النصيرية أتباع أبي شعيب محمد بن نصير يقولون في علي بن أبي طالب نظير ما يقوله النصارى في المسيح، وهم يعظمون القائلين بوحدة الوجود وكان التلمساني . شيخ القائلين بالوحدة الذي شرح مواقف النفرى قد ذهب إلى النصيرية وصنف لهم كتابا، وهم يعظمونه جدا، وحدثني نقيب الأشراف عنه أنه قال قلت له أنت نصيري قال نصير جزء مني!!

انظر من كتب شيخ الإسلام مجوع الفتاوى ١٢٧/٢ . منهاج السنة النبوية ٢ / ٣٧٥ . درء تعارض العقل والنقل١ /١٨٥.

وأمَّا ما وقعَ للشيخِ زكريا ـ رحمه الله ـ في شرحِ الروضِ(١) مِن ردِّه على ابن المقرئ (٢) في تكفيرِ طائفةِ ابنِ عربي، وقولُه أنَّ مقالاتِه ـ أي ابن عربي ـ من بابِ اصطلاحِ الصوفيةِ فذلك دليلٌ على أنَه ـ رحمه الله ـ لم يقفْ على كلامِه، ولا عرفَ ما فيه، وسمعَ بزهادتِه وعبادتِه فحملَه حسنُ الظنِّ على اعتقادِه والذبِّ عنه، ولعمريْ إنها غلطةٌ منه لا يُقالُ عثارُها، وهفوةٌ أحرقَ الدينَ شرارُها، وإقدامٌ لكانَ الواجبُ فيه التأخرَ، واستعجالٌ كانَ التعيُّنُ فيه التمهَّلَ والتدبرَ، وقد قالَ أهلُ التحقيقِ: اعرفوا الرجالَ بالحقِّ، ولا تعرفوا الحقَّ بالرجالِ، واللهُ يتجاوزُ عنا وعنه ويتغمدُ الجميعَ برحمته، ويجعلُنا من أهلِ قربِه وكرامتِه، ولا يفتنَّا في دينِنا بمنِّه وكرمِه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصاري يطلق عليه عند متأخري الشافعية شيخ الإسلام له المصنفات العديدة منها الغرر البهية شرح الوردية وأسنى المطالب شرح روض الطالب ولب الأصول ت ٩٢٦ هـ.

وفي كتاب الردة من أسنى المطالب اعتراض زكريا على الشيخ ابن المقرئ في تكفير طائفة ابن عربي ٤ / ١١٩.

(٢) هو العلامة شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقرئ صاحب الروض والإرشاد وله عنوان الشرف الوافي، وكان ممن كفر طائفة ابن عربي باليمن توفي بزبيد سنة ٨٣٧ هـ.

المسألة الثانية

أمَّا قولُ القائلِ (إنَّ تخليدَ مَن خلِّدَ في النارِ إنما هو باقتضاءِ ذواتهم)(١) فهو جهلٌ عظيمٌ من قائلِه، وكفرٌ صراحٌ من معتقِدِه، وبطلانه في (الحقيقة أوضح) مِن أن يحتاجَ إلى إقامةِ دليلٍ عليه، ولسنا نرى الكلامَ عليه و(التطويل فيه) فإنه أهونُ من ذلك، وبالجملة فهو قولٌ مرذولٌ، لم يقلْ به أحدٌ من المسلمين، وإنما هو من أقوالِ الزنادقةِ الذين حرَّفوا كلامَ اللهِ عن مواضعِه، وكذَّبوا رسلَ اللهِ فيما جاءوا به، وتستَّروا بالتصوفِ والنسكِ والعبادةِ كابن عربيٍّ صاحبِ الفصوصِ والفتوحاتِ(٢)، وابن سَبْعين(٣) وأتباعهما كالقونويّ تلميذِ ابن عربيّ(٤)، والقيصري شارحِ الفصوص، وعبد الكريم الكيلاني صاحبِ الكمالاتِ والإنسانِ الكاملِ(٥)، وغيرُهم لعنةُ اللهِ عليهم، وعلى معتقدي عقيدتِهم، وسالكي طريقِهم.

ولم يقولوا هذا القولَ تديّناً ولا اعتقاداً، فإنهم لا يدينون بدينٍ، ولا يعتقدون بعثاً ولا نشوراً، ولا جنةً ولا ناراً، ولا حساباً ولا عقاباً، وحيث تكلموا في ذلك في

---

(١) جواب للمسألة الثانية التي وردت عليه في شهر رمضان سنة ٩٤٦ هـ في سؤال هل دخول الكافر النار اقتضته ذاته؟

(٢) أبو بكر محمد بن علي بن محمد الحاتمي صاحب الفتوحات الفصوص ت ٦٣٨ هـ.

(٣) أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم ابن سبعين الاشبيلي من القائلين بوحدة الوجود، وصنف كتاب الحروف الوضعية ، واللهو، وأسرار الحكمة المشرقية ورسائل ابن سبعين ت ٦٦٩ هـ.

(٤) محمد بن إسحاق القونوي الرومي من كبار تلاميذ ابن العربي، تزوج ابن العربي أمه، ورباه، وبينه وبين نصير الدين الطوسي مكاتبات في بعض المسائل الحكمية، من كتبه إعجاز البيان في تفسير الفاتحة وشرح الأحاديث الأربعينية وغيرهما ت ٦٧٣ هـ.

(٥) عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي له كتب كثيرة، منها « الانسان الكامل في معرفة الاواخر والاوائل، توفي باليمن ٨٣٢ هـ.

كتبِهم فإنَّما هو توصُّلٌ إلى التحريف، والتبديلِ، والتغيير، والتأويلِ لإضلالِ العبادِ، والسعي في الأرض بالفسادِ:

- فتارةً يقولونَ: إن دخولَ أهلِ النارِ النارَ اقتضاه ذواتُهم.

- وتارةً يقولون: إن النارَ ليست عذاباً، وإنما هي نعيمٌ لأهلِها كما أن الجنةَ نعيمٌ لأهلِها، وإنما هما داران لأهلين.

- وتارةً يقولون: إن الكفارَ يعذَّبون في النار حيناً ثمَّ ينقلبُ في حقِّهم العذابُ نعيماً فيخلدون فيها في النعيم.(١)

إلى غيرِ ذلك من التناقضِ والكذبِ والمباهتةِ والتحريفِ الذي لم يسبقْهم إليه أحدٌ من أهل المللِ الضالةِ من اليهود والنصارى وغيرِهم، فإنَّ غايةَ ما تقولُ اليهودُ ما حكى اللهُ عنهم في قولِه تعالى: **(وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً)**، وذلك أنَّهم زعموا أنهم يُعذَّبون مدةَ الدنيا، وذلك جمعةٌ من جمعِ الآخرةِ سبعة آلاف سنةً، ثم يُخرجون إلى الجنةِ.(٢)

---

(١) ورد في الفصوص ص ٩٤ قوله :

وإن دخلوا دارَ الشقاءِ فإنهم ... على لذةٍ فيها نعيمٌ مباين
نعيمُ جنانِ الخلد فالأمر واحد ... وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذابا من عذوبة لفظه ... وذاك لكالقشر والقشر صائن

(٢) في تفسير الطبري عن ابن عباس قال: كانت يهود يقولون: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الله الناس يوم القيامة بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوما واحدا من أيام الآخرة، وإنها سبعة أيام. فأنزل الله في ذلك من قولهم: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) الآية.

ولم يقلْ أحدٌ منهم قطُّ أنَّ عذابَ النارِ يكون نعيماً لا في الابتداءِ ولا في الانتهاءِ، ومع هذا فقدْ كذَّبَهم اللهُ تعالى وردَّ عليهم قولهم، وأبطلَ دعواهم.(١)

فجاءتْ هذه الفرقةُ الضالةُ الملعونةُ فزادتْ على قولِهم، وأضافتْ إلى ذلك أقوالاً أخرَ لمْ يقلْها أحدٌ من أهلِ المللِ والنحلِ من تصويبِ عبادةِ الأصنام، والأوثانِ، والتلاعبِ بالشرائع والأديانِ، والقولِ بوحدة الوجود، وأنَّ فرعونَ وعاداً وثمودَ ومَن أشبهَهم من المشركين إنما كذَّبوا الرسلَ عليهم الصلاة والسلام لِما عندهم ـ أي المشركين ـ من المعرفةِ باللهِ والعلمِ به، إلى غير ذلك من العظائمِ التي لا ينبغي ذكرُها إلا للتحذيرِ منها، والتنبيهِ عليها.(٢)

ولمّا عرفوا أنَّهم ساعون في هدمِ الشريعةِ وردِّ ما جاءَ به محمدٌ والأنبياءُ قبلَه ـ عليهم الصلاةُ والسلامُ ـ علِموا أنهم لا يَسلمون من قيامِ ملوكِ الإسلامِ عليهم، وإنكارِ علماءِ الأنامِ وفتواهم بسفكِ دمائِهم، وتطهيرِ الأرضِ من جثثِهم فتستَّروا بالإسلامِ، واتَّسموا بالتصوفِ، وأظهروا التنَّسكَ والعبادةَ والتقشُّفَ والزهادةَ، وأبرزوا أقوالَهم في

---

(١) رد الله عليهم ذلك بقوله: (قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

(٢) مما ورد في فصوص ابن عربي من هذه الفضائح والفظائع قوله في الآية (وَقالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُواعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً) قال: فإنهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء فإن للحق في كل معبود وجها يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله!!) وهذا كلام إتحاد وإلحاد . والفصوص مشحونة بهذه الكفريات.

وقوله في تصويب عبادة العجل: (وكان موسى عليه السلام أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه بأن الله قد قضى ألا نعبد إلا إياه....) وقوله في إيمان فرعون: (وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه عند الغرق فقبضه طاهرا مطهرا ليس فيه شيء من الخبث) انظر ١٩٢ ـ ٢٠١.

أسلوبِ الحقائقِ ومزجوها باصطلاحِ القومِ، ودسّوا تلك العقائدَ الكفرية بين العوامِ والطغامِ، وللهِ درُّ القائلِ فيهم وفي مَن سلك مسلَكَهم من الزنادقةِ والباطنيةِ:

وما انتسبوا إلى الإسلامِ إلَّا لِحَقْنِ دمائِهم من أن تُسالا
فيأتونَ الفواحشَ في نشاطٍ ويأتونَ الصلاةَ وهم كُسالى

وقد ضلُّوا وأضلُّوا كثيراً، فضررُهم على الإسلامِ والمسلمين أشدُّ من ضررِ الإفرنجِ وغيرِهم[1] الذين لا يلتبِسُ كفرُهم، ولا يخفى شرُّهم، ولسنا بصددِ[2] وشرحِ الكفرياتِ من أفعالِهم وأقوالِهم، فلعنةُ اللهِ عليهم وعلى مَن يكثِّرُ سوادَهم، ويُقرُّ فسادَهم، ونسألُ اللهَ العصمةَ والتوفيقَ والهدايةَ إلى سواءِ الطريقِ، واللهُ سبحانَه أعلمُ.

---

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) كلمة غير واضحة.

المقالة الثانية

إخوة فرعون

بقلم
أكرم بن مبارك عصبان

إن مكر الصوفية ـ صوفية ابن عربي وأضرابه ـ قد بلغ إلى تحريف كلام الله عز وجل، ولئن خلط بعضهم بين التصوف والزهد فما ينبغي لنا أن نكون في هذه طائفة ابن عربي فئتين، وقد أركسوا في هذه الهوة، ودونوا معتقداتهم الردية، وقد انبرى لها أئمة الهدى بتفنيد كفرياتها، ودحض شبهاتها وجردت فيها الأسفار العظيمة التي ذاعت واشتهرت شهرة تغني عن ذكرها في هذا المقام، ولكن ما أعجبني من الأخبار موقف طريف أحببت إيراده ثم التعليق عليه.

ذكر الزبيدي في إتحاف السادة المتقين أن الإمام العلامة الشيخ حسن بن أحمد باغتر الحضرمي حين وفد المدينة تفاوض مع محمد بن رسول البرزنجي في مسألة إيمان فرعون، وإن عدم إيمانه مما أجمع عليه، وطال بينهما الكلام إلى إن انفصلا من غير مرام، فلما أصبح لقيه فأول ما فاتحه به أن قال له السلام عليك يا أخا فرعون! فتنغص البرزنجي جدا، وانحرف مزاجه على الشيخ باغتر، وعرف

منه ذلك، وشكاه عند بعض الناس فلاموه، فاعتذر لهم أني ما قلت شططا، هو يقول بإيمان فرعون ويثبته، والمؤمنون أخوة، فلِمَ يتأذ من أخوة فرعون وهو مؤمن عنده؟ فانقطعوا.[١]

والتعليق على هذا الخبر في ثلاثة محاور هي :

- أولا: سند هذه المسألة

إنه سند مظلم قد أخذه البرزنجي عن الكارزوني بنقله عن ابن عربي، فأما ابن عربي فقد صرح بذلك في فصوصه وفتوحاته ومن جملة كلامه في الباب السادس والسبعين بعد المائة عند قوله تعالى: (فاليوم نُنَجّيكَ بِبَدَنِكَ) بمعنى أن العذاب لا يتعلق إلا بظاهرك وقد أريت الخلق نجاته من العذاب فكان ابتداء الغرق عذاباً فصار الموت فيه شهادة خالصة بريئة لم يتخللها معصية فقبض على أفضل عمل وهو التلفظ بالإيمان).

وهو نص من ابن عربي ليس في إيمان فرعون فحسب بل في كونه من الشهداء بناء على أن الموت غرقاً شهادة، وهذه فرية كفرية يردها كل مسلم، فإن فرعون ما نطق بالإيمان إلا عند رؤية البأس حيث لا ينفعه ذلك الوقت، ومن جنس هذه المسألة قوله أيضا بإيمان قوم نوح عليه السلام وكثير من أضرابهم ونجاتهم يوم القيامة

---

(١) إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين ٢ / ٢٤٦ .

وقد نص على ذلك في الفصوص، وللكازوريني كتاب بالفارسية سماه الجاذب الغربي رد ما اعترض على ابن عربي ومنه مسألة إيمان فرعون، وقد نقله إلى العربية محمد بن رسول البرزنجي وسماه الجاذب الغيبي وكان يصرح بإيمان فرعون.(١)

وهكذا تجرأت طائفة ابن عربي على هذه الفرية الكفرية، وقد أحسن من أفتى بحرق هذه المصنفات المشحونة بهذه المخزيات.

- ثانيا: لله در باغتر الحضرمي

ولله در الشيخ حسن بن أحمد باغتر الذي ألقم هذا المجادل بغير علم الحجر، ولا ينفع مع مثله إلا هذا الصنيع، وأنه من أخوة فرعون، ولا ثمة داع لأن يتنغص أو أن يتكدر بعد ما قال ما قال، ولا سبيل له إلا الانقطاع، وأن يتجرع غصص الرد، وقد صدق فما قال شططا من القول، بل هو عين الصواب.

قلت: وهنا ملاحظتان

- إحداهما: أن الشيخ باغتر قد سبقه أئمة أعلام في رد هذه الجهالة مثل ابن المقرئ والحافظ والبقاعي وغيرهم من أئمة السنة الذين شنعوا على هذه الطائفة أهل الضلال والعناد، وللشيخ عبد الله بن عمر بامخرمة الحضرمي سعي مشكور في هذا الجانب ورسالة بعنوان (حقيقة التوحيد وصحيح الاعتقاد في تكفير

(١) انظر ترجمة البرزنجي في الأعلام للزركلي ٦ /٢٠٣ . معجم المؤلفين ٩ / ٣٠٨.

طائفة الوحدة والاتحاد) ومن أراد الوقوف على أسنة هؤلاء الأئمة الذين صرعوا هذه الفئة الباغية فالحوالة على ملئ وهو مصرع التصوف للبقاعي.(١)

- وثانيهما: لا يبعد عندي أن الشيخ حسن هذا هو ابن الشيخ العالم أحمد بن عبد الله باعنتر الحضرمى السيؤونى الشافعى الذي ولد في سنة ٢١٠١ هـ ورحل إلى مكة وأخذ بها عن الشمس البايلى وغيره وكان عالما عاملا ومات بالطائف في رمضان سنة ١٩٠١ هـ وقد ترجم في البدر الطالع، والفترة التي عاشها البرزنجي المتوفى بالمدينة تؤيد هذا الاستنتاج وهي ٠٤٠١ . ٣٠١١ هـ غير أنه قد تصحف عند الزبيدي إلى باغتر كما هو واضح.(٢)

- تسلل المسألة عند من يحسن الظن بهذه الطائفة

ولئن تولى كبر هذه الفرية إمام هذه الطائفة فالمستغرب هو لين الجانب من قبل بعض الفقهاء في إيرادها كما فعل ابن حجر الهيثمي وهذا من أشنع المسائل التي سودها في التحفة فقال: (من أفراد قَولِنا أَو لِمثبِتِه إلَخ إيمان فِرعون الذِي زعمه قَوم فَإِنه لا قَطع على عدمه بَل ظاهر الآيَة وجوده وأَلَف فيه مع الاستِرواحِ في أَكثَره بعض محقِقِي المتأَخرين من مشايِخِ مشايِخِنا ومِما يرد عَلَيه أَن الإِيمان عِند يَأسِ الحياةِ بِأَن وصل لآخِر رمقٍ كَالغَرغَرَة وإِدراك الغَرق فِي الآيَةِ مِن ذلِك كَما هو واضِحٌ خِلَافًا لِمن نازع فيه لا يقبل كَما صَرح بِه أَئِمتنا وغيرهم وهو صرِيح قَوله تعالى: (فَلَم يك

(١) مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي.

(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني ٢ /٤٠٠.

ينفعهم إيمَانهم لَما رأَوا بَأسَنَا) بِما تَقَرر علِم خطَأ مَن كَفَّر القَائِلِين بِإِسلامِ فرعونَ لأَنا وإِن اعتقَدنا بطلان هَذَا القَولِ لكِنه وإِن وردت بِه أحادِيث وتَبادر مِن آيَات أَولها المخالفون بِما لا يَنفَع غَير ضرورِي، وَإِن فرض أَنه مجمع علَيه بِنَاء على أَنه لا عبرة بِخِلاف أُولَئك إذ لم يعلم أَن فيهِم من بلَغ مَرتَبةَ الاجتِهَاد المطلَقِ.

وكل من شم رائحة العلم يعرف بطلان هذا الكلام الغريب الملتوي، ويتعجب من إيراده في التحفة التي طار بها مقلدة الشافعية كل مطار، وصاحبها قد أحسن الظن في ابن عربي فذلك ظنه الذي أرداه في هذه المهواة، فاسمع إليه وقد أشار إلى هذه المسألة بعينها في الزواجر ونعت ابن عر بي بأنه الإمام العارف المحقِق محيي الدينِ بن العربِي في فتوحاته المكَية القائل بِصحَة الإِيمانِ عِند الاضطرار، وَأَن فِرعون مؤمِن، واعتَقِد جلالَةَ قَائله.(١)

وليته جاد على شيخ الإسلام ابن تيمية بواحد من هذه النعوت الأربعة التي يستحق ابن عربي نقيضها لا سيما الأخير منها فقد أمات أصول الدين، ومن أراد معرفة حقيقة حاله فعليه أن يعرج على من خبر فصوصه وفتوحاته.(٢)

وأعادها مرة ثالثة في الفتاوى الكبرى وكذلك الفتاوى الحديثية وأورد حديثا في موت فرعون كافرا ثم نكس على رأسه في آخر الفتاوى فأورد حكاية زعم أنها كرامة

---

(١) تحفة المحتاج في شرح المنهاج ٣٨ / ٢٣٩.

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١ /٨٢.

ثم قرر أن قوله بإسلام فرعون لا يقتضي كفرا وإنما غايته أنه خطأ في الاجتهاد وهو غير قادح.[١]

وما استرسلت هنا إلا لاغترار كثير من الطلاب بتحفة ابن حجر، والذي نريد أن نخلص إليه حقيقة ما عليه هذه الطائفة من الكفر، فلا يغتر المسلم بما يلبسون به من الحديث عن الزهد وهو لا يعرف مثل هذه الشناعات، ومنها عاقبة حسن الظن فيهم والمشي خلفهم فإنه يورد الضلال بل الواجب الاعتصام بالكتاب والسنة.

وما أحسن الرد على هؤلاء المغترين بما يقطع حجتهم، ويناسب قولهم، وقد أجاد العالم باعنتر السيؤوني ـ نسبة إلى سيؤن عاصمة وادي حضرموت ـ أيما إجادة، وأفحم البرزنجي الذي عرض هذه الشبهة وفرح بها فعاد فرحه بالخسران وصدق من قال

جاء شقيق عارضا رمحه   إن بني عمك فيهم رماح

(١) الفتاوى الحديثية ١ / ٢٤١.

المقالة الثالثة

هل فتنة الصوفية أضر من فتنة الإفرنج

بقلم
أكرم بن مبارك عصبان

قال حسين بن عبد الله بالحاج بافضل إذ سئل عن حال الفقيه عمر بامخرمة: (وددت لو أن طائفة من الإفرنج ظهرت بحضرموت ولا هو! وذلك لأن الإفرنج فتنتهم ظاهرة يعرفها الخاص والعام، وأهل الله إذا شطحوا ففتنتهم أعضل من كل فتنة لا سيما في حق العوام والجهال).(١)

تعتبر هذه العبارة للوهلة الأولى عسرة الهضم، عصية على القبول، ولكن حين ينعم المرء النظر فيها، ويعطي التأمل حقه فإنه يساغ له بعد ذلك قبولها إلا إطلاق كلمة (أهل الله) على الشاطحين الخارجين عن الجادة فهي رد على قائلها، فإن أهل الله هم خاصته.

وموضوعنا سيكون في شرح هذه العبارة، واستيفاء الحديث عنها، على أربع مراتب هي: حال عمر بامخرمة، الحديث عن الإفرنج، حال حسين بافضل، شطح الصوفية.

---

(١) السلسلة القدوسية ص ٣٤٥.

أولا: حال عمر بامخرمة

هو عمر بن عبد الله بن أحمد بامخرمة الحميري السيباني الهجراني ت ٩٥٢ هـ، الفقيه الصوفي، وقد مر بثلاث مراحل هي الاشتغال بالعلوم الشرعية الميل إلى طريق الصوفية، الشطح.

فأما تلقي العلم والفقه فكان على يد والده مفتي عدن، وصاحب الفتاوى المشهورة، واشتغل بالعلوم الشرعية، والفنون الأدبية فبدا فقيها كبيرا، وشاعرا مجيدا، ففي الفقه كان على معرفة بالخلاف في المسائل الفقهية على مذهب الشافعي كما يتضح ذلك في إيراد الفقهاء القائلين بجواز دهن المعتدة عن وفاة الخلاف والأقوال كما يتضح في رده على ابنه الفقيه عبد الله الذي كان يمنع المعتدة من وفاة أن تطرق رأسها بالدهن فقال شعرا :

يا سويلم ورى القاضي يعسر على الناس
ما تغاضى لهم حتى على طرقة الرأس
إن قرعه الحسن يأخذ طريق ابن عباس

وأما المرحلة الثانية فهي الميل إلى طريق الصوفية، والقراءة في (الرسالة القشيرية)، واختيار سبيل أصحاب السلوك والمقامات مع حسن الظن في ابن عربي، وأنه شيخ الطريقة، ولكنه كان لا يشير على مريد ولا طالب علم بمطالعة الفصوص، ويرى أنها مضرة جدًّا، بل يقول أنه ضل بها من المنتسبين إلى ابن

عربي أكثر مما اهتدى بكثير، ويرى أن أكثر أتباعه ضالون مضلون، قال:

(وأما المنتسبون إلى ابن عربي في هذا الزمان فمصيبة في الدين، وفساد في طريق المسلمين، رفضوا الشريعة، ودانوا بالإباحة، وقالوا بالتناسخ، وتظاهروا بأقبح القبائح، فالفرار الفرار منهم، ومهما اجتمعت بصاحبك هذا فسلّم عليه وقل له: إني أشير عليه بالإعراض عن هؤلاء، وترك الإنكار عليهم، فإن ذلك لا يزيدهم إلا عنادًا واستكبارًا ولا يزيد مذهبهم إلا ظهورًا وانتشارًا، فكما أنه لا حاجة إلى مجادلة أهل الكتاب فكذلك لا حاجة إلى مكابرة هؤلاء ومكاثرتهم، فإن الزمان قد فسد ومال أهله إلى الباطل، ومذهب هؤلاء أقرب إلى شهوات أهل الزمان وشره، وإفشاؤه يزيد الآخذين به، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، ويلزمه اتباع سيد المرسلين، وأمرُ الدين اليوم إلى الذهاب والاندراس أقرب منه إلى الظهور والاستعلاء، فقد بدأ الدين غريبًا، وأخشى أنه قد عاد كما بدأ، وأستغفر الله العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).(١)

(١) السناء الباهر ١ / ٤٤٦.

وقال في رسالة القشيري يوم أن كان مولعا بها :

يا طالبا سر الطريق مخلصا / ومفرقا بين الجواهر والحصى
هي في الرسالة فهي قسطاس الهدى / فأدم قراءتها زمانك واحرصا
ما جاء من أهل الطريق بمثل / ما جاء القشيري عم فيها وخصصا
صارت قلوب العارفين معادنا / حفظته ثم تداولته ممحصا
بتراجم الألفاظ فاشتاقت إلى / عبد الكريم وعنده ألقت عصا

وأما المرحلة الثالثة فهي مجاراة الغلاة من أهل الشطح، وقد كان على طريق الفقهاء، ومحبة الصوفية ولما بلغه أن عبد الرحمن باهرمز عند ورود الحال عليه يجتمع بالنساء الحسان فيغنين له، فقصده للإنكار عليه، فسار إليه ثم بدا له أن يرجع من الطريق، ثم سار ثانياً ودخل عليه فلما وقع بصره على الشيخ كاشفه وقال له: عاد وقتك ما جاء، ثم سار إليه ثالثاً فلما دخل عليه أمر باهرمز بعض النساء الحسان ممن كانت ترقص عنده ان تعتنقه فما هو إلا أن فعل به ذلك خر مغشياً عليه فلما أفاق تلمذ للشيخ، وأراد أن يتحكم له فقال له: صل ركعتين إلى الشرق فامتثل فلما أحرم رأى الكعبة تجاه وجهه.(١)

قال: (وقفت بين يدي شيخي وسيدي عبد الرحمن باهرمز عشية الاثنين ثاني رجب سنة ٣١٩ هـ وتحكمت له وألبسني، ومسح على رأسي وصدري، وقال لي:

---

(١) النور السافر ١ / ٣٣.

حكّمتك وأنا شيخك، فعليك بكتاب الله وسنة رسول الله، وأنا شيخك فيهما وفي علوم لم يطّلع عليها ملك مُقرب ولا نبي مرسل، فأنت نائب عني، بل أنت أنا).[١]

وبتركه الرسالة القشيرية، والدخول في حكم باهرمز، والاشتغال بديوان ابن الفارض، غلب عليه الحديث عن الشهود، والفناء الكلي عن الوجود، فأكثر من السماع، وحذا بشيخه حذو القذة بالقذة، وأصيب ببلاء السماع، ووقع منه الشطح حتى أنكر عليه الفقهاء، بل وأخرج من دائرة الفقهاء فلم يذكره ولده الفقيه عبد الله في (ذيل طبقات الفقهاء على الأسنوي) وهكذا نعرف النكتة في خلو الكتاب من ذكره مع رتبته في الفقه التي ذكرناها.

ثانيا: فتنة الإفرنج

أما فتنة الإفرنج فالمقصود بها مجئ البرتغاليين الذين جاءوا لإخضاع الممالك الإسلامية لسيطرتهم، وقد كانت لهم القوة في الغرب بأوربا، وسولت لهم أن يأخذوا ما بأيدي الدولة العثمانية , وظهرت فتنتهم في الديار الهندية سنة ١٠٩ هـ، ثم كثرت مراكب الإفرنج فى بحر الهند وهرموز وتلك الجهات، وعظم أذاهم للمسلمين، وأخذوا سبعة مراكب، وصارت سفنهم تشق عباب البحار، وكان قد خرج الملك عمانويل في العاصمة لشبونه على قومه في غرور، على عرش من ذهب مرصع بالجواهر، وأبدى لقادة جيشه واساطيله رغبته في غزو العالم، والاستيلاء على سواحل البحر

(١) السناء الباهر ص ٤٤٨.

العربي خاصة عدن، وطلب دراسة لهذا الاستيلاء، وسبق أعدائه من الأوربيين الذين ينافسونه في بحر الهند والخليج والبحر الأحمر، وأن يرفعوا لواء المسيحية في تلك البقاع الإسلامية.

وفي ربيع الآخر من سنة ٩٢٩هـ هاجموا مدينة الشحر بأربع عشرة سفينة, ودخلوا المدينة، ونهبوا بعض بيوتها، وعاثوا بها فسادا، وصالوا بها فتصدى لهم أهلها بقيادة ولاتها وعلمائها.

وقتل من أعيان الشحر جماعة منهم الأمير مطران بن منصور, والفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن عبد الله بلحاج أخو الشيخ حسين، وكانت مقاومته لهم شديدة، وكتب إلى أهل حضرموت يستنجد بهم، يستنفرهم للجهاد , ولد بتريم ونشأ بها، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل بتحصيل العلوم الشرعية على والده، ورحل مع والده إلى بندر الشحر، ولازم والده في دروسه حتى برع وفاق أقرانه وكان والده يعظمه ويثني عليه، وكذلك الشيخ القاضي عبد الله بن عبسين كان يبالغ في الثناء عليه ويشير إليه في الفقه، وقد قام خطيبًا في الناس حين قرب العدو من مدرسته، ووعظهم وحثهم على القتال، فخرج وخرج الناس معه لقتال الإفرنج، وحصل النصر للمسلمين حيث استشهد يوم الجمعة، لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع ثاني.

وقتل معه أيضاً أحمد وفضل ابنا رضوان بافضل, والفقيه يعقوب بن صالح الحريضي وخلق كثير , ودفن سبعة من الشهداء في موضع واحد.

وقد أبلي المقاومون بلاء حسنا، واستمر القتال في الشحر من يوم الجمعة إلى يوم الأحد انتهى بخسارة الإفرنج، فركبوا سفنهم ليلة الاثنين, ورجعوا نحو الهند يجرون أذيال الهزيمة بعد ما تركوا قتلاهم بالشحر.

وينبغي أن نفرق بين هذه الحادثة ومجيئهم مرة أخرى سنة ٩٤٢هـ، فقد قاموا بحملة أخرى إخضاع البلاد، وجاؤوا بسفن كثيرة، وكان السلطان بدر بن عبد الله الكثيري أبو طويرق لهم بالمرصاد هذه المرة, وكان قد أعد هو وجنوده للحرب عدة، ولم يضع هؤلاء الجنود أقدامهم بالساحل حتى أثخن فيهم الجراح بما لم يكونوا يتوقعونه، ففريقا قتل، وفريقا أسر، وطلعت شمس يوم الأحد لخمس من رمضان وقتلى الإفرنج في شوارع الشحر، وأخذ سفنهم، وطلب بقيتهم الأمان، وكان عدد الأسرى في هذه الحادثة سبعين، وأهدى السلطان بدر خمسة وثلاثين من هؤلاء الأسرى إلى السلطان العثماني سليمان خان بن سليم خان.في اسطنبول – القسطنطينية، وطاف ببعضهم في قرى حضرموت.[١]

(١) السناء الباهر ١ / ١٨٩ . صفحات من التاريخ الحضرمي ١ / ١١٧.

وفي هذه المرة يقول عمر بامخرمة مهنئا السلطان بدر:

يقول أبو علي بدا بدر السعادة واستنار
أضا على الأرض حتى اطفا بنوره كل نار
وامست وجوه الكفر واهل الكفر يعلوها قتار
فالحمد لله طاب لاهل الشحر فيها ما الابار
واسفر محيا الدين واثرينا وخذنا كل ثار
من عابدي الاوثان في تثليثهم لا راد ثار
الله نصر الاسلام بك يا بدر عالي المنار
يا تاج رأس الملك يا من صيته استعلى وطار

هذه هي فتنة الإفرنج الذين اجتاحوا البلاد، وسفكوا الدماء، وقتلوا العلماء، والتي لم يعش الشيخ حسين فصولها فحسب، بل ذهب ضحيتها أخوه الفقيه أحمد وجماعة من أقربائه وأحبائه، فكيف جاز لهذا الشيخ أن يجعل فتنة الصوفية أعظم من فتنة الإفرنج؟

ولا شك أنه قد رأى من آثار شطحاتهم على الأمة والعوام ما يجعله يصرح بذلك كما سيأتي.

ثالثا: مع حسين بافضل

هو حسين بن عبد الله بن عبد الرحمن بالحاج بافضل توفي سنة ٩٧٩ هـ، تلقى العلوم على يد أبيه صاحب المختصرات في الفقه فأما المختصر الكبير فقد عني بشرحه ابن حجر الهيتمي وأما المختصر اللطيف فشرحه الرملي، فمن تربية هذا

الفقيه خرج حسين ولد بمدينة (تريم)، وحفظ (القرآن العظيم) وبعض (المنهاج)، و(الإرشاد) وغير ذلك، ومشى أيضا على الأخذ بالتصوف على عادة الانسجام بين الفريقين في تلك الفترة من هذا القطر فكان يأخذه عن أحمد بن علوي باجحدب، و أحمد بن حسين العيدروس، وشهاب الدين.(١)

وكان أول اجتماع بعمر بامخرمة حين قدم بامخرمة إلى تريم في مظهر كبير، وجمع عظيم من أتباعه ومريديه، فدخل والسماع يضرب بين يديه، فبلغ ذلك الشيخ حسين، وهو يغلب عليه الفقه والتحقيق فقام من مدرسته المسماة بمسجد شكرة هو وجماعة من التلاميذ يريدون الإنكار على بامخرمة في ضرب السماع، فلما التقيا غاب حسين وأخذته حالة طرب واستغراق وصار يصفق بيديه فخاطبه بامخرمة:

حسين هبت نسيم القرب بعد المدا ... سرت من النجد نا للنجد واهله فدا
حبائب القلب ذي عشقة سواهم سدى ... ذي هواهم حمولي منه غير القدا
بكيت وابكيت مما بي وسري بدا ... بحت حتى دروا بي يا حسين العدا

تغير مجرى حياته الفكرية

ومنذ هذا اللقاء تغير مجرى حياته الفكرية ليستقي من ماء الصوفية الذين أراد الإنكار عليهم، بل وأصابه الداء نفسه، وما زال يوغل في طريقهم الوعر حتى اشتغل بعلم الحقائق ومال عن الرقائق، وصار يعظم ابن عربي، ويقري كتبه، وكان له في اقتنائها أشد عناية حتى أن كتاب الفتوحات المكية كان لا يوجد بحضرموت

(١) إدام القوت ١ / ٢٧١ . النور السافر ١ / ١٧٢ . صلة الأهل ترجمة المذكو.

إلا عنده، ويرى أن ابن عربي على طريق الصوفية غير أنه بسط العبارة في موضع الإشارة، وقال أن هذه الأبيات تصلح في ابن عربي :

دعوه لا تلوموه دعوه فقد علم الذي لم تعلموه

وكان مولعاً بكتب الشاذلية، وكان يميل إلى طريقتهم حتى قيل فيه أنه شاذلي زمانه، وله رسالة أسماها (الفصول الفتحية والنفثات الروحية فيما يوجب الجمعية، وعدم البراح من جانب الحق والفناء وبالبقاية بالكلية والجزئية).

رابعا: شطح الصوفية

والشطح عبارة فيها رعونة، تنبعث من دائرة الفناء، ويبوح فيها الفاني بالأسرار التي اطلع عليها، ويقع في ذلك بين أمرين يصعب الجمع بينهما أحدهما: الخطورة في إذاعة ما وصل إليه حيث يحكم الفقهاء بكفره، والثانية: عدم رد داعي المحبة، وصعوبة دفع هذه الأحوال ويعبر عن ذلك بامخرمة:

إن تكلم قتل والقتل في حقه إصلاح وإن صمت فإن صمته يلحق الموت يا صاح.

والشطحات التي سجلت عن أقطاب الطريقة الصوفية بحضرموت كثيرة لا يحتمل المقام ذكرها، وهي فتنة عظيمة حيث، وادعوا أن حقيقة التوحيد هي الوصول إلى الفناء، فإما أن يضل في فناء الشهود، ومنهم من ينحدر من عقبته إلى الوحدة،

وكلاهما قد يصرح بفناء الذات في الذات، فيقول أنا الله، أو الصفات هي الصفات، فيصرح بأن يعلم الغيب، ويملك ويتصرف، ويشفع، ويجيب المضطر، ويحي الموتى إلى غير ذلك من الدعاوى العريضة .

وإفراد شطحات بامخرمة دون غيره من الشاطحين تفريق بلا حجة، ولئلا يخلو المقام من ذكر مثال، نسوق ما نسب إلى الفقيه المقدم حين قال له البدوي الذي امتنع من بيع السعف له وذكر له مناقب الفقيه: هو الشيخ محمد بن علي الله؟ فلمّا سمع الشيخ ذكر الله قال بأعلى صوته: نعم أنا الله ، وسقط مغشياً عليه هكذا نقلها في الترياق والغرر والمشرع بصيغة الإقرار خلافا لتأويل أبي بكر المشهور في سلسلة أعلام الطريقة حين حرفها وجعلها بصيغة السؤال ولم يلتفت إلى من ذكرها بخلاف فهمه، فصدق الشيخ حسين بافضل حين قرر أن ضرر فتنة الصوفية في شطحاتهم أعظم من فتنة الإفرنج ويعجبني في هذا المقام ما ذكر عن الشيخ أَبي عمرو ابن الصلاحِ حيث أَمر بانتزاع مدرسة معروفَة من أَبي الحسنِ الآمدي وقَال: أَخذها منه أفضل من أَخذ عكا قال شيخ الإسلام في الفتاوى: مع أن الآمدي لَم يكن في وقته أَكثَر تَبحرا فِي الفنون الكَلامية والفلسفية منه وكَان من أَحسنهِم إسلاما وأمثَلهِم اعتقادا.

المقالة الرابعة

تحمّل الصوفي الأذى عن الناس
أو إيراد الحكاية
بين الحقيقة التاريخية والرواية الصوفية

بقلم
أكرم بن مبارك عصبان

من غرائب بعض المتصوفة ـ وكثير من أمرهم غريب ـ مسلكهم المشين في تأويل الرواية التاريخية وتحريف الكلم عن مواضعه، وهو أمر يجعل الناظر يرتاب في كثير من الركام الذي تقذفه كتب التراجم والمناقب، ليرجع النظر فيه كرة بعد كرة، إذ أن ما نحن بصدد الحديث عنه يجلي هذا المسلك من التحريف، وذلك من خلال عرض حكاية واحدة بروايتين مختلفتين إحداهما: للمؤرخين، والأخرى للمتصوفة، ويتضح بعد ذلك المراد.

وأصل الحكاية يكمن في محاصرة السلطان بدر بن عبد الله الكثيري لبلد الخريبة من وادي دوعن بحضرموت، وقد حصل في هذا الحصار قتال ضعيف قتل فيه عبد الرحيم باسندوة، وكان ذلك في شهر ربيع الثاني سنة ٩٤٥ هـ، وتأمل رواية القصة عند هذين الفريقين.

أولا: رواية المؤرخ بافقيه

(وقتل في هذه الوقعة عبد الرّحيم باسندوة، جاءه بندق من خلفه ، وهو مُشْرف من دار في الخريبة، وكان عبد الرحيم مجمع الشّرور والفسوق، وذلك إنه متسمى بالمشيخة والتصوف مع تظاهره بترك الصلاة، والاجتماع بالنساء والخلوة بهن، وغير ذلك، ولأهل الموضع فيه عقيدة ومقالات قبيحة.

وكان يجتمع عنده من الزنادقة والشَّياطين خلق كثير لما يصلون إليه عنده من الزّنا بالنساء، والتمكن من الفسوق الذين لا يجدونه في موضع آخر، ولو بذلوا ما بذلوا، فالحمد لله الذي أزاله، وأزال بزواله الفسوق الذي كان مغطى على الناس بالتلبيس.

ثم وقع بين السُّلطان وبين صاحب شرق اتفاق على تسليم حصن شرق بدفع، ثم وقع الكلام بينه وبين صاحب الخريبة وأهل مصنعة القرين على تَسْليمها إليه فسَلّموها إليه يوم الخميس سادس عشر الشهر).(١)

ثانيا: رواية الصوفية

عن عبد الله باصلاح الدوعني قال:

(جاء السلطان بدر إلى الخريبة وحصرها وكان فيها الولي الصالح عبد الرحمن باسندوة، فقالوا له الناس إن السلطان بدر عَمّال يقطع نخيل الناس، وأهل البلاد

(١) تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر تأليف محمد بن عمر الطيب بافقيه وأسرة بافقيه فرع من أسرة آل عيديد.
قال عبد الله الحبشي : وأغلب الظن أنه عاش إلى ما بعد الأربعين من القرن الحادي عشر (١٠٤٠ هـ).

خائفين لا يدخل عليهم البلاد، فقال لهم هذا الأمر ما ينطفئ إلا بقتل مائة وواحد أو مائة إلا واحد، أو بقتل واحد يتحمل عن الكل، فبقى ذلك الفكر، فجاءت له جليلوه، ووقعت في الشيخ باسندوة وقتلته، فبعد يومين بقا الصلح، وسلمت الناس الجميع وتحمل عنهم الشيخ رضي الله عنه ونفع بهم).(١)

انتهى نقل الحكاية بعجرها وبجرها، وبقي علينا أن نسلط الضوء في بعض مضامينها على النحو التالي:

- أولا: الحكاية بين السند التاريخي والمنطق الصوفي

إننا هنا إنما نريد أن نوضح مسلك بعض الصوفية في تحريف الكلام بغض النظر عن صاحب القصة، إذ أن بعض الروايات التي يعدها المتصوفة مناقب لا تمت لباب المناقب بصلة، وإنما العمدة في ذلك على شهادة المؤرخ الموثوق به، ففي حين يصف المؤرخ بافقيه الصوفي المذكور آنفا بهذه الصفات التي نربأ بأنفسنا على تكرارها نجد أن المتصوفة يجعلون صاحبها في مصاف الأولياء الذين يطالعون الغيب، ويكشفون نزول البلاء.

ومقابل فرح المؤرخ بقتل من هذه صفاته نجد المتصوفة يتوكأون على ما يطلقون عليه تحمل البلاء، وهذه المنزلة لا يبلغها إلا الخاصة كما سيأتي، وفي حين سلمت

(١) أنس السالكين باهارون العلوي الحكاية التاسعة والثمانون بعد الثلاثمائة ص من المخطوطة (٤٢١).

الخريبة للسلطان بدر على حد راوية المؤرخين، تسند الرواية الصوفية البطولة لمن ينسبون إليه الولاية.

- ثانيا: المبررات لهذه الأفعال

والعجيب حقا أنهم لو جروا على منطق المؤرخين، وثبت لديهم بالأدلة القاطعة نسبة هذه الأفعال من ترك الفرائض ومخالطة النساء الأجانب لمن يعدونه وليا لبادروا إلى انتحال الأعذار، والأعجب أن يستدلوا على باطلهم هذا بقصة موسى مع الخضر عليهما السلام، والأشد عجبا اختراع مصطلحات جديدة مثل تعدد صور الأولياء، ومعاقرة الأضداد.

فلو سلموا للرواية التاريخية في ترك الصلاة، ومخالطة النساء الأجانب لاخترعوا لنا تعدد الأولياء في صور كثيرة، وبرروا مخالطة النساء بأنه فعل الأضداد لتكثيف ما لطف من الحال الذي لو استمر لتلف الصوفي من جرائه، وقد ضبط بعض متصوفة حضرموت على هذين الحالين أعني ترك الصلاة ومخالطة النساء فعزوا ذلك إلى ما ذكر من العذرين.

ولم يعرف أهل الإسلام هذا النوع من الهراء من التعاليم الإسلامية، فلا شك إن هذا فعل النابذين للنصوص، الذين عرجوا على بضاعة الزنادقة ممن رام هدم الدين، فتستر باسم التصوف.

وإليك أمثلة مما يعدها هؤلاء المتصوفة مبررات لترك الصلاة أو الاجتماع بالنساء والخلوة بهن:

١ ـ في مناقب عبد الرحمن بن محمد الجفري صاحب تريس حين أتاه غريب وهو يسقي زرعا له فدخل وقت الصلاة فقام الغريب يصلي وصاحب تريس في سناوته لم يتركها حتى خرج وقت الصلاة وبعد ذكر عدد من عجائبه ذكر له الغريب مرور وقت الفريضة ولم يصلها فدخل به إلى تسع خلوات فوجد في كل واحدة منهم صورة عبد الرحمن تصلي فاعتذر له الغريب.[١]

– أما الخلوة بالنساء والاجتماع بهن ففي طبقات الشعراني الكبرى ما يندى له الجبين، ونربأ بمقالنا عن ذكره إذ تكفي الحوالة عليه وفي منحة الإله أن شيخا بن أحمد المتوفى بسورابايا كان إذا قبّل بنتا من بنات النصارى، أو بنات المسلمين يقبلها ولا ينكر عليه أحد أبدا وبعد موته وجدوا أنه ما من بنت من بنات النصارى قبلها إلا ودخلت دين الإسلام، ولا بنت من بنات المسلمين قبلها إلا واحتجبت عن الخروج إلى الناس، والبروز إليهم!!!.[٢]

وفيها أيضا أن رجلا غريبا رأى امرأة مقبلة قام إليها وقبّلها ورجع إليهم، فأساء الحاضرون به الظن، وأنكروا فعله، وتكلموا عليه، فقال: ما سرت وقبلت تلك

(١) كنوز السعادة الأبدية من كلام علي بن محمد الحبشي (مخطوط) ص ٢٦.
(٢) المخطوطة ص ٨٢ ، وقد حذفها محقق المنحة محمد أبو بكر باذيب موضعها من المطبوعة ١٨٢.

المرأة إلا وقد رأيتها في اللوح المحفوظ أنها تتزوج برجل شريف، ففرحت لها بذلك، وبشرتها به!!.[١]

- ثالثا: تحمل الولي البلاء

أما تحمل الأذى فهذه شنشنة نعرفها من أخزم، فلم يكتف المتصوفة بكون المذكور آنفا من الأولياء بل رفعوه إلى مرتبة عندهم يسمونها تحمل الأذى الذي سينزل بالأمة، وفي دستور الصوفية المتأخرين وهو الطبقات الكبرى للشعراني حكايات من هذا القبيل الذي عزا إليه قتل المذكور في القصة، ويحتل القطب المكانة الكبرى في حمل الأثقال حسب مقامه الكبير عندهم فهو يحمل هموم الأمة كلها!!! فنجد مثلا أن أبا العباس المرسي قال: كم من بدل وولي بين أظهرهم لا يلقون إليه بالا مع أنه يحمل أثقالهم ويدفع الأغيار.

ونرى الرفاعي لما مرض مرض الموت قال: جرت أمور اشتريناها بالأرواح وذلك أنه أقبل على الخلق بلاء عظيم فتحملته عنهم وشريته بما بقي من عمري فباعني.

ومحمد بن هارون كشف له عن صاعقة تنزل على بلد فأمر بذبح ثلاثين بقرة وطبخها في زاويته... وعلي الديري جرت له مصائب فقال محمد عنان أنه تحمل بها البلاء، وفي قصة أخرى أنه تحمل مرض شخصا معينا.[٢]

---

(١) المخطوطة ص ٨٠ . ٨١ ، وقد حذفها من المنحة باذيب موضعها من المطبوعة ص ١٨١ .

(٢) طبقات الشعراني ص ٢٤٥ . ٣٩٠ . ٣٦٠ . ٥١٥ . ٥٣٠ . ٥٥٨ . ٥٩٤ . ٥٩٧ . ٩١٠ .

ولا نطيل بذكر هذه الترهات والغلو الذي ينافي العقيدة الصحيحة من دعاوى معرفة علم الغيب، وتصرف الأولياء بالنفع قال تعالى ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

تنبيه: لقد أعياني البحث عن سند هذه الظاهرة وهي تحمل البلاء عند هؤلاء المتصوفة لغربتها عن الشرع الحنيف فتتبعت نشأتها فهالني ما وقفت عليه في هذا الشأن فإن تحمل الموت أو البلاء عند بعض الشيعة يرجع إلى ما يزعمونه من تحمل الحسين القتل ليدفع عن شيعته البلاء، وهو ما يتفق مع ما يدعيه المبطلون عن تحمل المسيح عيسى ابن مريم ما تحمل من الخطايا فاختلقوا عقيدة الصلب ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾، فإن كان ما ذهبت إليه صحيحا وإلا فالبحث لا يزال جاريا.[١]

- رابعا: موقف بدر أبي طويرق من الصوفية

لم يسلم الأمراء والحكام في حضرموت من إلقاء العنان للصوفية وأقطابها، يتصرفون في شؤونهم إما رغبة في محبتهم، أو رهبة لما للمتصوفة من تبعية المجتمع، ولم تذكر لنا سجلات التدوين أي فصاما بين الفريقين إلا النزر الذي يعد خروجا عن المألوف، ولعل من هذا النزر تنكيل السلطان بدر بن عبد الله الكثيري الملقب بأبي طويرق ببعض أقطاب الطريقة.

(١) انظر مقالات في التشيع ٤ / ١٦.

وباعثه ذو اتجاهين أحدهما سياسي والأخر علمي، فلا يخفى علينا الغاية للسلطان بدر في إحكام السيطرة على حضرموت كافة، وهي غاية ما لبث أن توصل إليها، وقضي له الأمر، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف ربما نشأت معارضة من قبل المتصوفة خوفا أن يؤول الحكم إلى من لا يكون طوع إرادتهم.

والثاني في البواعث يكمن في هوى السلطان بدر العلمي، وميله إلى الفقهاء حيث مكنهم من تولي المهام العلمية في دولته، كالفقيه عبد الله بن عمر بامخرمة تولى قضاء الشحر مرتين، والشيخ علي بن علي بايزيد التولبي تولى إدراة المدرسة البدرية بالشحر، وغالبا ما يقترن الباعثان السياسي والعلمي في مواقف السلطان بدر مع الصوفية.

ولم يكن قتل عبد الرحيم باسندوة مثالا واحدا يجلي موقف السلطان بدر مع الصوفية بل وجدت مواقف أخرى لعل أبرزها:

١- موقفه من معروف باجمال

يعد معرف باجمال من أعلام التصوف ت ٩٦٧ هـ وقد أفردت ترجمته بمؤلفات شحنت بالطوام من الخوارق، هذه الخوارق جعلت الناس يعتقدون فيه ويبالغون في ذلك، ولما دخل السلطان بدر بو طويرق شبام قبض على الشيخ معروف وأهانه،

فأمر بأن يعلق في عنقه حبل، وأن يطاف به في البلاد، وينادي عليه هذا معبودكم يا أهل شبام.[١]

- ومن عجيب أمره أن السلطان حين أمر بعض أمرائه أن يقوم بهذا التعزير، وكان هذا الأمير من المعتقدين في معروف باجمال فتوقف عن ذلك، فأرسل الشيخ معروف أن افعل ما أمرت به وأنا ضمينك على الله بالجنة.!![٢]

٢- عمر بامخرمة

وعمر بن عبد الله بامخرمة من أقطاب متصوفة حضرموت، وله أحوال لم يرضها الفقهاء، وكذا له ديوان حوى كثير من مضامين الصوفية، وعلاقته مع السلطان بدر بين مد وجزر كما تبدو في قصائده في الديوان، ولكن الذي انتهى إليه أمره أن عزل السلطان بدر هذا الصوفي في سيؤون إلى أن توفي بها.

(١) كان معروف باجمال مؤيدا لإمامة علي بن عمر الكثيري على شبام، فكان هذا سببا في القبض عليه إضافة إلى مبالغة الاعتقاد فيه.

(٢) النور السافر عن أخبار القرن العاشر ١ / ١٣٦ وعلق: فانظر إلى مشهد هذا الشيخ العظيم الذي يرى الأشياء كلها من الله الحكيم !!!

المقالة الخامسة

مصطلح لطافة الحال
وكثافته بالمعصية

بقلم

أكرم بن مبارك عصبان

إن العجائبَ لا تنقضي من انحرافاتِ المتصوفة، وغرائبِهم التي دنسوا بها طريق الزهدِ، ومصطلحاتهم التي لم ترد في قاموسِ الرعيل الأول من سلفِ الأمة، وكانوا على الجادّةِ، وما زالَ القطاعُ يرصدون في طريق المتصوفةِ حتى اخترعوا لهم ما يسمى بكثافة الحال اللطيفِ الذي يوشكُ أن يتلفُ الصوفي جراءَ الرياضةِ فيتعاطى من المخالفات ما يعيدُ له التوازن أو البشرية.

ففي كتاب الخبايا في الزوايا عن عبدالله بن محمد المشهور قالوا عنه أنه كان مجذوبا توفي (١١٠٣هـ) بتريم كان من كبار الأولياء الأفراد الذين لا يدخلون تحت دائرة القطب وكان لا يعبأ بقول علماء الظاهر له من الكرامات الكثيرة والكشوفات الخارقة المنيرة وكان يأخذ الحرام الصرف من الظلمة ويقول أرى من هو تحت باب العرش ونريد ا المرآة أن تتغمش –أي يذهب لمعانها– بأكل الحرام ما تغمشت وأنكر

عليه رجل بقلبه في عدم الصلاة طاهرا! فلما أتى إليه رشه من لحيته بماء أصفر وقال (والله إني توضأت من الكوثر)[١].

قلت: والذي في لمعة النور في كرامات علي بن محمد المشهور عن والده أن أحمد بن عمر المشهور. حفيد عبد الله بن محمد المذكور - كان وليا مجذوبا مكاشفا وأنه ينظر إلى من هو تحت العرش، ويأكل الحرام الصرف أحيانا! فيقال له في ذلك فيقول: مرادي بالمرآة تتكدر ما تكدرت.[٢].

والذي يبدو لي أنهما قصتان مختلفتان إلا أن في مخطوطة لمعة النور زيادة اتصال السند بالمشاهدة وأما مطبوعة الخبايا فإنها ذكرت سنة الوفاة ولم تزد في ترجمة أحمد بن عمر على أنه من كبار الأولياء ذوي الكشف الصادق والبرهان الخارق والتصريف النافذ له الهيبة عند الخاص والعام مقبولا عند الناس توفي بتريم سنة (١٠٢١هـ). اهـ.

وارتكاب المخالفات بحجة الخشية من التلف أو كثافة الحال شنشنة نقرأها في كثير من الأحوال كما سبق عند السماع مع النساء الحسان ولكن لم يفد هذا المجذوب شيئا الوقوع في المخالفات طبعا لعلو المقام عندهم.

وقد عُرف لون آخر من السماع - لا يحبذه صوفية حضرموت - ونقل عن عبدالرحمن الأخضر باهرمز وتلميذه بامخرمه وهو عندما يكون السماع بحضرة النساء

---

(١) الخبايا في الزوايا (ص:٦٧).

(٢) انظر (ص:٧٤) وعلق والده بقوله: وما نالوا ذلك بالهوينا.

الحسان، فكان باهرمز (ت:٤١٩هـ) إذا ورد عليه شيء من الأحوال الغريبة يطلب النساء الحسان، من ذوات الجمال والأصوات الحسنة، فيغنين بين يديه ويرقصن لديه!! وكان الفقهاء تنكر عليه ذلك ومن جملتهم عمر بامخرمه (ت:٩٥٢هـ) الذي ذهب لينكر عليه فأصابه الداء نفسه وبدلا من إصلاح باهرمز فسد حاله وانقلب من طريقة الفقهاء التي كان عليها إلى المعننين في السماع، وصار بعد ذلك إذا غلب عليه الشهود والفناء أكثَرَ من السماع، حتى مع ذوات القناع، وأنكر عليه فقهاء عصره أيضا، وكان ممن ينكر عليه السماع مطلقا – فضلا عن المذموم منه – حسين بن عبدالله بافضل (ت:٩٧٩هـ) ودخل الشيخ عمر تريم ذات مرة في مظهر كبير من أتباعه، والسماع يضرب بين يديه فبلغ الشيخ حسين ذلك – وكان يغلب عليه الفقه وتحقيقه – فقام إليه من مدرسته، هو وجماعة من تلاميذه يريدون الإنكار على بامخرمه في السماع، فأخذته حالة طرب واستغرق وصار يصفق بيديه فخاطبه بامخرمه بعد فساده بقوله: حسين هبت نسيم القرب بعد المدى....[١].

وقد أورد عبد القادر بن شيخ العيدروس تبريرا – على العادة في كل أمر مخالف – لحضور النساء للسماع من جهتين إحداهما تتعلق بمصلحة الفساق وما هم عليه من الفسق فيخالطهم الصوفي لينقلهم عنه، إلى الطاعة!! والثانية تتعلق بالصوفي ذاته في مخالطة الأضداد لئلا تتلف نفسه جراء الواردات وجمع هاتين الجهتين في قوله

(١) السناء الباهر (ص:٦٧-٣٨١) * النور السافر (ص:١٠٢) * صلة الأهل (١٧٩).

(ما كان نسب من ذلك لأهل الله فهو إنما لعنايتهم أهل العصيان وذلك لكمال شفقتهم على خلق الله تعالى كما هو معلوم وقد يكون لله مراد في حق شخص معين منهم من يريد الله أن ينقله من تلك الحالة ويرقيه مراتب الأولياء وربما غلب على ذلك الولي بعض الأحوال القوية فخشي على عقله أن يذهب أو جسمه أن يتلف فأراد تعديل لطافة الحال بكثافتهم والله أعلم)(١).

وكان حال جعفر بن أحمد بن زين الحبشي أشبه بحال الشيخ عمر بامخرمه وقد يضرب الطبل مع النساء ويحضر معه جماعة من الخلق ولكنهم محفوظون ببركته -كما قال مؤلف نشر المحاسن- وقد وقعت معه خلطة مع نساء أجانب ذات يوم فوقع في خاطر بعض محبيه شيء منها فاستغفر الله من إنكاره على أولياء الله العارفين فكان يقول: ما فعلت هذه الأمور المشكلة إلا وقد تكلم لي مشائخي بكلام، وذلك حين قال لشيخه عمر البار: إني أحب النساء والطبل! ووصف له من أحواله يريد أني أفعل ذلك وأنا في رقبتك!! فقال له افعل ولا ترى إلا من فوق.

وقد عزا مؤلف نشر محاسن الأوصاف بأن المذكور كان صاحب رقة: لما ناله من طريق المحبة إذا أنشد بحضرته كلام الشيخ بامخرمه لم يتمالك من شدة العبرة تكاد أن تفارق روحه جسده وكان يداوي نفسه بمخالطة الأضداد قال وحال الأولياء الذين

---

(١) النور السافر (ص:١٠٥).

يشكل ما لهم على من ليس له معرفة بأهل الله وقد أصاب جملة جالسوه مع غير الأدب[١].

وقال عبدالله العيدروس كنت كثيرا ما أشاهد سعد بن علي مذحج في حال التلاوة يذوب حتى يصير كالماء فلأجل هذا ربما فزع إلى مخالطة العوام وأهل الكثافات الطبيعية فسألته هل لك في مخالطتهم فائدة قال نعم بل فوائد كثيرة ربما هجم علي الحال حتى أخشى على جسمي أن يتلف فأقرب منهم لتعتدل لطافة الحال بكثافتهم[٢].

وقد عللوا هذه الأحوال العجيبة بأنه قد دخل على قلوبهم من الروح ونسمات الألطاف الخفية ما يذيب أرواحهم قال مؤلف نشر محاسن الأوصاف: كما وقع لبعضهم أنه انذاب دما ووقعت روحه جواهر والقصة ذكرها شيخ بن عبد الله العيدروس[٣].

(١) نشر محاسن الأوصاف (١١٠-١١١).

(٢) السلسلة القدروسية (١/٢٩٠).

(٣) نشر محاسن الأوصاف (١٣٤) قلت وما أشار إليه من قصة الجواهر وردت في تفريح القلوب وتفريج الكروب ومفادها أن بعض الأكابر الذي يميل للسماع وضرب العود والسلطان ينهى عن ذلك فاشتاق للسماع وخرج إلى البرية بعواد وأمر بضرب عوده فورد عليه وارد عظيم استغرقه ولم يزل يميع جسده حتى تحصل منه ضحضاح دم فلما أخل يده صار جواهر فلما رجع إلى البلد أخرجها فبلغ السلطان عزة وجودها فاشتراها وبذل أثمانا غزيرة وجعلها في التاج فلما جاء سلطان آخر يقول بالسماع ولبس التاج وضرب عنده العود إذ بدم يسيل على وجهه وإذ بشخص ينمو ويزيد حتى تكامل رجلا سويا فعطس وقص خبره باختصار عن فيض الأسرار بتصرف (١/٢٧٤) وقام حسين محمد مخلوف بحذفها من تع تفريح القلوب الذي اعتنى به.

والأحوال تختلف بسبب الداعي لها فمنهم من يغلب عليه الخوف ومنهم من يغلب عليه الفرح والانبساط فيتسلى بالسماع فتكون دواعي السماع في هذه الحالة لتخفيف الوارد لا لجلبه أو زيادته وهذه الدواعي ستكون مضادة للأسباب الأولى من هذه الحيثية وقد نقل ذلك عن العيدروس بقوله: نزل علينا شيء من الملكوتيات فخفنا على الجسم أن يتغير فضربنا السماع أردنا أن ينفس علينا وقال ورد علينا من الواردات فخشينا أن يخرج منا شيء من الشطحات الإلهية الغيبية التي تخرجنا عن الشريعة فأردنا أن نتسلى بالسماع[1].

(١) السلسلة القدوسية (٣٣٤).

المقالة السادسة

حول الحبشي بسيؤن
مظهر للتصوف المعاصر

بقلم
أكرم بن مبارك عصبان

راج بحضرموت زيارات القبور على الطريقة الصوفية وليس على الطريقة الفقهية، فالأولى مبنية على قواعد التصوف والثانية مناطها الاستدلال، فهما يختلفان في الغاية والوسيلة، فتعظيم قبور الصوفية لأوليائهم يبدأ من بناء قبة عظيمة على القبر، ووضع تابوت كبير، وإحداث زيارة في وقت مخصوص، والاستمداد والاستغاثة بالمقبور، ويضاف إلى ذلك كثير من مفاهيم الصوفية كما يتجلى ذلك في زيارة قبر مزعوم نسبوه لنبي الله هود عليه السلام أسفل حضرموت، ويرجع تعيين القبر إلى الكشف الصوفي على يد عبد الرحمن بن محمد السقاف، ٨١٩ هـ ويوصف بأنه عين المكاشفين، ثم انتقال الزيارة إلى الطريقة الصوفية في زمن حفيده عبد الله بن أبي بكر العيدروس ت ٨٦٩ هـ، وذلك بعد انتظار الإذن الرباني ثلاث عشرة سنة كما يدعون، وأصبح لهذه الزيارة من المناسك ما لم يكن معهودا، واخترعوا لها المناسك الزمانية حيث يعد اليوم الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر هي مواقيت الزيارة، وفيها الوقفة التي من أدركها فقد أدرك الزيارة قال بعضهم :

وقفة تشبه بالحج الأرض منها ترتج
يدعون في ذاك الفج بصوت واحد يا هود

ويعتبر اليوم العاشر عيد الزوار فينحرون الأغنام ويأكلون ألذ المأكولات ثم تأتي النفرة الأولى لآل سيون وأما آل تريم فيدفعون يوم الثاني عشر.

ومن المناسك المكانية حيث تبدأ بالاغتسال في النهر الذي قيل فيه أنه من أنهار الجنة ثم يتوجهون إلى حصاة عمر ليركعوا عندها ركعتين، ثم ييممون وجوههم نحو البئر التي يقولون أنه البئر المعطة (بئر التسلوم) ويأتون في طريقهم إليها بالباقيات الصالحات، ويسلمون على الأنبياء لاعتقادهم أن فيها أرواحهم، وبعد ذلك يصعدون إلى القبر ويسلمون على النبي هود ويقرأون سورة هود، قالوا وينبغي استحضار نية السلف السقاف والمحضار والعيدروس وغيرهم.(١)

قال الشاطري: (وبنيت مدينة حواليه في سفح الجبل الذي فيه القبر لكنها لا تسكن سوى عدة أيام في السنة وهي أيام الزيارة فهي تشبه مدينة منى بالحجاز من هذه الناحية).

---

(١) نظمها بعضهم :

واقصد غدير الماء ثم اغتسل وصل وسبح وحمد ثم كبر وهلل
إلى البئر تلك الحد سلم بها وعج إلى ذلك القبر الشريف المجلل
ورد السلام أعني الذي قد ذكرته لدى البئر عند القبر مع سورة تلي
وألثم ثرى تلك البقاع ممرغا بخديك تعظيما وللترب قبّل

ووضعوا للزيارة فضائل منها: الضحكة في طريق هود بتسبيحة، من زار هود ولو للفضول غفرت ذنوبه، أن هود يتحمل ذنوب زواره، النائم فيها كالقائم والقائم كالصائم، غبار الطريق كغبار المجاهد في سبيل الله.

وتتوج الزيارة باستقبال حافل في تريم وذلك في سباق الجمال وأصل ذلك أن شهاب الدين أحد أقطاب صوفية حضرموت لما ثقل عن الزيارة كان يجلس في ذلك المكان لاستقبال الزائرين في المجف بتريم ويقول من بشرني أن ولد سالم سالم بن عبد الله يعني أبا بكر بن سالم زار بالناس وهم سالمون ضمنت له الجنة.

فهذه الزيارة على الطريقة الصوفية تضمنت مفاهيم التصوف كالكشف الصوفي وسماع الهاتف والإذن الرباني والضمان بالجنة، وكل ذلك لا يمت للزيارة الشرعية بصلة فقد ذكر الفقهاء أحكام زيارة القبور وآدابها القائمة على الأدلة، وقد تنوعت البحوث والدراسات عن زيارة نبي الله هود بحضرموت، وأدليت بدلوي في هذا الموضوع برسالة صغيرة بعنوان (زيارة النبي هود عليه السلام بين النهي الشرعي والكشف الصوفي) غير أننا نريد أن نقف عند زيارة أخرى تضمنت معاني للتصوف وهي حول الحبشي بسيؤن.

معنى الحول :

جاء في لسان العرب في مادة (حول) حال عليه الحول أي السنة إذا أتى.

فيكون الحول أخص من العيد الذي بمعنى العود، وهو اسم لما يعود من الاجتماع على وجه معتاد، إما بعود السنة أو الشهر أو الأسبوع، وبهذا نستطيع أن نقرر أن لفظ الحول هو العيد، ولكن بمعنى أخص أي إذا عاد في السنة فقط، وعليه يندرج في معنى النصوص التي ورد فيها لفظ العيد، ويمكن النظر إليها من زاويتين:

- **أحدهما**: المكان الذي يتم الاجتماع عنده أو فيه، ومنه حديث (لا تتخذوا قبري عيدا)، وقوله للذي نذر أن ينحر إبلا ببوانة (هل كان فيها عيد من أعيادهم) أي يجتمعون عنده.

- **الثاني**: الزمان الذي يتم فيه الاجتماع كقوله أيام منى (إنها أيام عيد).

والحول الذي نحن بصدد الحديث عنه ويعبر عنه بالاحتفال في مكان معتاد وزمان معلوم سيأتي وصفه، وهو داخل في النهي عن اتخاذ القبور أعيادا، ولا يقتضي هذا النهي الغض من أصحاب القبور بل هو من باب إكرامهم، وفيه حفظ لعقائد الأمة من التردي في هوة سحيقة من الانحراف.

نشأة الحول وإلباس التابوت

ترجع نشأة الحول الذي يقترن بيوم وفاة صاحبه في الفكر الصوفي الحضرمي إلى عهد قريب، فقد ورد في رسالة الفرائد في قيد الأوابد أن أقدم حول لمشاهير الصوفية

بحضرموت هو حول عبد الله بن حسين بن طاهر توفي ٧١ ربيع الثاني سنة ٢٧٢١ هـ بالقرية المسماة المسيلة، وتلاه العمل بإقامة حول علي بن محمد الحبشي بسيؤن.[١]

وقد ورد في كتاب تاج الأعراس زيادة مهمة، وهي نسبة إقامة هذا الحول إلى ابن صاحبه، هذا فيما يتعلق بالنشأة.[٢]

أما الاحتفال الذي يسبقه بيوم في مناسبة (إلباس التابوت)، فقد استمر العمل به من عام ٨٦٣١ هـ كما أفاده عبد القادر الخرد في كتابه (رفع البأس عن حكم التابوت والإلباس).[٣]

وقد صار الحول وما اقترن به من إلباس التابوت تقليدا سنويا، وكانت الذكرى السابعة والتسعون في سنة ٦٢٤١ هـ، وقد هيئت مساكن الوفود التي تفد من داخل اليمن وخارجه.

تنبيه:

لم تقتصر إقامة حول الحبشي في سيؤن بل أقام علوي وهو ابن علي الحبشي حولا آخر سنويا بمدينة الصولو من الجهة الجاوية، وتأتي إليه الوفود من كل فج عميق كما في تاج الأعراس، وقد زاد منصب مقام الحبشي أنه تقام له الذكرى

(١) الفرائد في قيد الأوابد للمؤرخ عبد الله بن حسن بلفقيه (مخطوطة) ص ١٠.

(٢) تاج الأعراس تأليف علي بن حسين العطاس ٢ / ١٧٧.

(٣) رفع البأس ودفع الالتباس تأليف عبد القادر بن سالم الخرد ص ٣.

السنوية الحولية داخل اليمن وخارجها مثل أندونيسيا وأفريقيا وبريطانيا وعمان وأبو ظبي ومصر.[١]

صاحب الحول

هو علي بن محمد بن حسين الحبشي ينتسب إلى المهاجر أحمد بن عيسى، ولد بقسم سنة ٩٥٢١ هـ ونشأ في وسط اشتهر بالتصوف، وقد أخذ عن عدد من شيوخ حضرموت والحجاز، ثم أفاد العلم بسيئون حيث أسس بها الرباط سنة ٦٩٢١ هـ، وبنى مسجد الرياض سنة ٣٠٣١ هـ وقد عرف بالوعظ والمواجيد الصوفية فقصده المريدون ومن آثاره (مجموعات وصايا وإجازاته ومكاتباته) و(قصة المولد النبوي) وديوان ضخم في مجلدين وجمع كلامه في (كنوز السعادة الأبدية في الأنفاس العلية الحبشية) المواعظ الجلية في المجالس العلية).

ولم تزل آثاره منهلا لصوفية حضرموت ولغيرهم، توفي بسيون ٠٢ ربيع الثاني سنة ٣٣٣١ هـ.[٢]

---

(١) انظر تاج الأعراس ٢ ، ١٧٨ .كلمة تعريفية بالحول في سلسلة كتب الإمام الحبشي ٦ / ٥٣٦.

(٢) شفاء الفؤاد ١١٧ . ١١٨ . ١١٩.

الغلو فيه

يعد الغلو في المشايخ من أبرز سمات الصوفية لاسيما الحضارمة، وقد غلوا في صاحب الحول غلوا كبيرا، ووصفوه بأنه بركة الوجود، وكعبة الجود التي تحجها الوفود، وأنه القطب، واعترف بهذا الغلو المعلق على رحلة الأشواق القوية فقال(اعتقاد الورى فيه يفوق وصف الواصفين، إلى مجازفة طوائف في معتقداتهم إلى الحدود المذمومة).[١]

قلت: والعجيب أنه وقع في هذه المجازفة حين نعته بقوله (لم تكتب عليه سيئة أو خطيئة من الخطايا مدى حياته) وقوله :وكان كثير الاجتماع بالذات المحمدية يقظة).

كما اعترف بغلو العامة فيه ابن عبيد الله السقاف فقال (ولكن أصحابه يرفعونه إلى مرتقى لا تصل إليه معارج الآثار، ويتفننون في نشر الصيت له بكل ما تبلغ قواتهم مع غلبة السذاجة... ولطائفة الشيخ محمد بن سعيد باطويح غلو شديد في مدحه وتدارس الثناء عليه وتفضيله على جميع الأولياء والعلماء).[٢]

طقوس حول الحبشي

- البعد المكاني :

يقام الحول في قبة الحبشي التي تتوسط المدينة، وهي قبة عظيمة حديثة عهد بعناية تشييد، ويتوسطها ضريح الحبشي، وعليه تابوت كبير من ساج فاخر، وفرشت

(١) تعليقات على رحلة الأشواق القوية تأليف عبد الله بن محمد السقاف ٥ . ١٠.
(٢) إدام القوت تأليف عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف ص ٣٨٢.

وأسرجت لوسائل التبريد والراحة، ووسعت جدرانها بحيث تضم عشرات الزائرين الذين تكتظ بهم في الحول، وقد تم بناؤها ووضع التابوت سنة ١٣٤٠ هـ، وتقبع بجوارها أربع قباب لبعض مشاهير الصوفية ولعلها مراد الأديب علي بن أحمد باكثير يصف سيون:

قبابها زاهية

لو لم يكن حرمها أسمح دين

هدم بعضها بنو

التوحيد فيما مضى من السنين

قلت: البيت الثاني إشارة إلى حملة ابن قملا إلى حضرموت حيث أخربوا القباب وأبعدوا التوابيت وتمكنوا من تسوية القبور.[١]

- المناسك الزمانية

في اليوم العاشر من ربيع الثاني تبدأ الوفود بوضع رحلها بسيون، وتعقد الجلسات في القبة، ويجتمعون على قراءة الذكر وإنشاد القصائد والسماع بالدفوف، ويقومون بزيارة مشايخ الطريقة لالتماس البركة والإجازة والإلباس.

(١) إدام القوت ص ٥٦٠.

وفي صبح اليوم الثامن عشر يتم الاحتفال والاجتماع بمناسبة إلباس التابوت، ويدعى بيوم التلبيسة) وهو لباس أخضر، يخرج به من دار صاحب المقام في موكب مهيب وجموع غفيرة تزدحم بهم الشوارع ويتقدمهم مشايخ الطريقة ويليهم أصحاب السماع ثم حملة اللباس وهو على شكل خاص، فإذا انتهوا إلى التابوت تجاذبته الأيدي تبتغي البركة فلا يكاد يصل إلى القبة إلا بمشقة ويقول الجمع (شيء لله يا حبيبنا علي).

في اليوم العشرين يتم الاحتفال الكبير الذي يضم الجموع الغفيرة الوافدة وغير الوافدة، وفيه تلقين ذكر الجلالة وهبة القرآن إلى روح الحبشي وإنشاد ووعظ، ويختم بتلقين الجلالة والفاتحة.

وفي مساء هذا اليوم يقام حفل الحول الختامي ويتخلله السماع والطعام وقصص مناقب المتصوفة ويستمر إلى ساعات متأخرة من الليل.[١]

مفردات التصوف

في كلمة منصب المقام لعام ٦٢٤١ هـ حيث الجموع المحتشدة في القبة وخارجها تضمنت معاني للتصوف:[٢]

(١) الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم تأليف حامد بن عبد الله بن شهاب ٣٥ ـ ٤٠ ، وانظر نبذة تعريفية ص ٤٩.
(٢) رسالة مفهوم السير إلى الله والأدب إلى أوليائه.

. العلم علمان: علم لأهل المشاهدة وأهل الحقيقة الذين عرفوا الله بوجوده، ونظروا بعين البصيرة، وشهدوا ما وراء السطور، وعلم لأهل الحجاب حيث يستدلون على الوجود الإلهي بواسطة الأدلة، ويرجعون إلى التوجه بالأعمال بأركان الإسلام والإيمان والإحسان، وبعد أن يمروا بالتدريب والتمرين يكونن سالكين حتى لا يفاجأوا بنور رب العالمين أو يكونوا من المجذوبين.

. طريق الوصول: ولا يتأتى ذلك إلا من الطرق التي قررها علماء القلوب والأحوال التي رتبها أسلافنا الصالحون وطالبوا باقتفائها وأهل الفهم الذين أوصوا بأخذ السند من المشايخ، فإذا وجد الشيخ المربي الكامل فتلك النعمة الكبرى.

. الأدب مع المشايخ: يلزم في حضرات أهل الله الأدب، ويطلب منا الاحترام، ويطلب منا وضع أنفسنا عندهم كوضع الميت عند مغسله.

. سبب الحول: نحن جئنا متمسكين ببركاتهم، ومتعلقين بأذيالهم، ومتعرضين للنفحات التي أودعها الله بمجالسهم فقال صلى الله عليه وسلم (ألا لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها).

. الزهد في المقامات: من سلفنا من زهد في المقامات والمكاشفات مثل الحبيب حسن بن صالح البحر حيث يقول: (ما مرادي الحور ولا القصور، ولكن مرادي

كشف المستور) والشيخ عمر بامخرمةحيث يقول (رضينا بحكمك إلى جنة أو نار).

قلت: أما قول البحر فأصله في كنوز السعادة (أن أبا بكر العطاس رأى الجنة بحورها وقصورها تحت بيت حسن البحر وأنه يقول: ما مرادي...) وأما قول بامخرمة فهو في الديوان بلفظ (قد رضينا بما معنا إلى جنة أو نار).

وهو يعد من باب التشبه بما نسب إلى رابعة العدوية (ما عبدتك لجنتك لا ولا خوف من سقر) قال الحداد: (إن دعوى هذا المقام لا يصلح لكل أحد، وإنما يصلح لأهله من ذاق خالص التوحيد فكع من نهله وعله... وأما المؤمن القاصر فعليه أن يعظم ما عظمه الله تعالى من شأن الجنة والنار).[١]

شبه وردود

لقد أورد بعض المتصوفة في تأييد الحول والإلباس والاحتفال به شبها ومن ذلك:

ـ الشبهة الأولى ما ورد في الفرائد بأن لإقامة الحول أصلا من السنة حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قبور أحد على رأس كل حول.

قلت: ثبت العرش أولا ثم انقش، فإن الأصل المشار إليه من السنة لم يثبت، ولو ثبت فلا دلالة فيه البتة على ما يتم في الحول، والجواب على هذه الشبهة من أمرين :

---

(١) كنوز السعادة ص ١٥ . ديوان بامخرمة ١ / ٢٢٧ . عقد اليواقيت ٢ . ٣٥.

. **أحدهما**: حديث أنه صلى الله عليه وسلم (**كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول: سلام عليكم بما صبرتم، فنعم عقبى الدار، وأبو بكر وعمر [وعثمان]**) أورده الطبري في تفسيره وإسناده مرسل ضعيف، ورواه عبد الرزاق في مصنفه، قال الزيلعي وَهَذَا معضل.[1]

. **والثاني**: أنه لو ثبت فإنه في واد، وما يحصل في حول الحبشي في واد آخر حيث القبة المشرفة والتابوت على القبر وإلباسه والاستغاثة بصاحبه وغير ذلك من مما يندى له الجبين.

. الشبهة الثانية قول الخرد: إن حديث (**لعن الله اليهود والنصارى..**) موقوف عن العمل به لأمور كثيرة منها:

١ . إن النصارى ليس فيهم أنبياء غير عيسى وهو لا يزال حيا، وليس له قبر.

٢ . إن اليهود كانوا يقتلون أنبياءهم ويكذبونهم، ولم يعرف قبر أحد من أنبيائهم في وقت النبي صلى الله عليه وسلم.

٣ . إن الصحابة فهموا من هذه الألفاظ أن معنى اتخاذها مساجد أي جعل القبر نفسه موضعا للسجود.[2]

---

(١) تخريج أحاديث الكشاف (٢/ ١٨٩) ، وقال الألباني أن الحديث منكر كما سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٤/ ٣٠٦).
(٢) رفع البأس ودفع الالتباس تأليف عبد القادر بن سالم الخرد.

قلت: وهذه حجج متهافتة أوردها، وما هكذا تورد يا سعد الإبل، والحديث متفق عليه عن عائشة رَضي الله عَنْهَا قالت قَالَ رَسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه: « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت: ولولا ذلك لأبرز قبره. غير أنه خُشي أن يُتَّخذ مسجداً).

وللرد على هذه الشبهة أمور:

١ ـ لم يذكر الخرد الذين صرحوا بأن العمل بهذا الحديث موقوف، وقوله مجرد دعوى لم يقم عليها بينة، ولا ندري هل الذين أوقفوا العمل به من الصوفية حين فصوا به، فإنه يهدم أصولهم الفاسدة الباطلة في الزيارات.

٢ ـ العلة هي اتخاذ القبور مساجد والافتتان بها كما يدل عليه حديث عائشةَ أَن أُم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأَتْهَا بِأَرض الحبشةِ يقال لها مارية فذكرت له ما رأت فيها من الصّور فَقال رسول الله صلى الله عليه وسلمَ: «أُولَئِك قَوم إِذا مات فيهم العبد الصالح أَو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور أولَئِكَ شرار الخلق عند الله » رواه البخاري.

ولما ظهر بتستر « قبر دانيالَ» وكَانوا يستَسقون به كتب فيه أَبو موسى الأَشعري إلى عمر بن الخطّاب فَكَتَب إليه يأمره أن يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرا ويدفنه بالليل في واحد منها ويعفي القبور كلها لِئلا يفتتن به الناس.(١)

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧/ ٢٧٠).

٣ ـ وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني أنه َقد اسْتُشكِل ذكر النصارى فيه لأنّ اليهود لهم أنبِياء بخلاف النصارى فليس بين عيسى وبين نبِينا صَلى الله عليه وسلم نبِي غيره وليس له قَبر والجواب أَنه كان فيهم أنبياء أَيضا لكِنهم غير مرسلين كالحواريين ومريم في قول أَو الجمع في قوله أَنبِيائهم بإِزاء المجموع من اليهود والنَصارى والمراد الأَنبِياء وكِبار أَتباعِهم فاكتَفى بذكر الأنبِياء.[١]

٤ ـ قرر بعض الفقهاء أن تعظيم القبور عادة النصارى، قال النووي (قال العلماء إنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ قبره مسجدا خوفا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثير من الأمم الخالية).

وقال أبو موسى: ولا يمسح القبر ولا يقبله ولا يمسه فإن ذلك عادة النصارى قال النووي (وما ذكره صحيح لأنه قد صح النهي عن تعظيم القبور ولأنه إذ لم يستحب استلام الركنين الشاميين من أركان الكعبة مع كونه يسن استلام الركنين الآخرين فلأن لا يستحب مس القبور أولى والله أعلم.[٢]

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ٥٣٢) وتتمة كلامه (أَو المراد بالاتِّخاذ أعم من أَن يَكون ابتداعا أَو اتباعا فَالْيَهود ابتدعت والنصارى اتبعت ولا ريب أن النصارى تعظم قبور كثير من الأَنبِياء الَذين تعظمُهم اليهود).

(٢) المجموع شرح المهذب (٥/ ٣١١).

وبدحض هذه الشبهات نكون قد وصلنا إلى خاتمة المطاف وما أردت بهذا إلا نفي تحريف الغالين وتأويل الجاهلين نصحا للمسلمين وحماية لجناب توحيد رب العالمين.

قال صاحب الحول :

من نصحني فإني منه للنصح قابل   وين داعي لخلق الله للنصح باذل

المقالة السابعة

إماطة اللثام عن ما اعترى قبر كعب بن زهير من الأهام

بقلم

أكرم بن مبارك عصبان

يزعم بعض متصوفة حضرموت أن قبر الصحابي الجليل كعب بن زهير بالعجلانية . منطقة بوادي حضرموت . وهي دعوى عارية عن النقل الصحيح جارية على قواعد الصوفية في التسليم لشيوخ الطريقة، وقد راجعت الكتب التي تعني بتراجم الصحابة الكرام، وتاريخ حضرموت فلم أظفر فيها بإشارة فضلا عن عبارة تذكر ذلك، ورجعت منها خالي الوفاض، فعجبت من صمت هذه الأسفار عن خبر قبر كعب بن زهير رضي الله عنه، ولم ينقض العجب حتى طالعت مجلة التراث التي تصدرها الجمعية اليمنية للتاريخ وحماية التراث فرع تريم في عددها الأول في موضوع بعنوان (الصحابة في حضرموت وتاريخنا العريق) بقلم منير سالم بازهير حيث تحدث عن موضع القبر.

وما أكثر الحديث في تعيين القبور في حضرموت التي لا تقوم على برهان، ولكن في العصر الحديث أريد لها أن تلبس لباسا جديدا من التراث وتهدف إلى إحياء المزارات والتعلق بالقبور ، ثم وقفت على مصدر هذا الموضوع عند ابن عبيد الله السقاف في بضائع التابوت (مخطوط) بنقله عن أحمد بن حسن العطاس ونص كلامه: (وذكر أن

حريضة كانت لليهود قبل النبوة فأسلموا بكتابه صلى الله عليه وسلم، ثم ارتدوا إلى اليهودية وبقوا على ردتهم، ولما وصل لبيد بن زياد إلى تريم أرسل كعب بن زهير الشاعر المشهور إلى الكسر ووادي عمد، فتلقاه أهل حريضة بالعجلانية وقتلوه بها، وقبره فيها معروف إلى الآن يزار ويتبرك به).

وزاد (إن أهل حريضة بقوا على اليهودية إلى وصول أحمد بن عيسى وقامت الحرب بين الشيعة والإباضية في بحران بسبب نزول المهاجر، وأسفر الحرب عن انتصار أهل البيت وشيعتهم، وأسلم أهل حريضة على يد المهاجر وحسن إسلامهم).[١]

هذا حديثهم عن هذا الصحابي وما تعلق به من دعاوى أخرى، وحديثنا سيكون على ثلاثة محاور هي: وجود قبره بحضرموت، ثم دعوى تعيينه، ثم ما يترتب على ذلك.

أولا: ما قيل في وجوده بحضرموت

لقد بني وجود قبر كعب بن زهير بحضرموت على مقدمتين:

. **إحداهما**: الحوالة على مخطوطة مفقودة لا نعرف لها لونا ولا طعما ولا ريحا، ولا يدرى مؤلفها من الإنس أم من الجن، إضافة إلى فقدانها، والحقيقة التاريخية لا بد أن يكون لها مصدر موثوق، وما هو عنها بالحديث المرجم.

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٧/ ٢٧٠).

ـ **وثانيهما:** أن المحال عليهم من مشايخ التصوف لهم منهج قائم على تسليم المريد للأقطاب، ولنأخذ مثلا واحدا على ذلك وهو دعوى وجود قبر علي بن أبي طالب بحضرموت ففي مطالع الشموس نذهب لنتعرف على قبر صاحبه مجهول العين، يدعى مولى الراكة، وذلك بسبب وجود شجرة الراك التي أصبحت ملقاة والضريح محلها، وفي مطالع الشموس: وإن صاحبه لو علم لتاهفت زواره والقاصدون له وهو يقصد للإمدادات، ثم أردف كلامه بقوله: (وعن صاحب الأنوار والمكاشف بالأسرار أحمد بن حسن العطاس رأيت سيدنا علي بن أبي طالب فقلت له في أي محل ضريحك فقال في سفح جبل الغرفة في جانبها الشرقي مشرف على البلد، وتحت جبل مسيل يخرج من الجبل وزاره صاحب الرؤيا زيارة مطولة)[١]

قلت: وفي شرح الصدور في سياق الحديث عن مولى العرض بتريم ـ صاحبه مجهول ـ: (إنه قبر عظيم من الأولياء، ومن كلام عبد الرحمن ابن الشيخ علي أنه قال ما أذن لي في إظهاره، ولو أظهرته لبلغت شربة الماء في أيام زيارته بدرهم في تريم أو كما قال).[٢]

(١) مطالع الشموس (مخطوط).

(٢) شرح الصدور ص ١٥٠ وتتمة كلامه وكان على ذلك القبر راكتان حتى إنه يقال له في الكتب المتقدمة مولى الراكتين فقطعتا وبنيت عليه قبة فهي الآن معمورة بالزيارة ومن أتى إليه بنية قضاء الحاجة قضيت إن شاء الله تعالى!!!

وانظر أيضا ثبوت أضرحة السبعة البدور بتريم على كشف أحمد بن حسن العطاس من تذكير الناس ص ٢٣٧ وشرح الصدور ص ١٥٠ أنهم قالوا له نحن من أولياء الله ولسنا من أهل بدر ولا من الصحابة ، وفي لمعة النور ص ١٩٢ نقلا عنه أن القبر الذي قبلي تنعة هو قبر شداد بن عاد بن عوض!

فوجود قبر كعب بن زهير رضي الله عنه بحضرموت نتيجة مبنية على مقدمتين إحداهما المخطوطة المفقودة المذكورة بلا زمام ولا خطام، والثانية قيامه على التسليم للشيوخ، ولو بطلت إحداهما لكفى الحكم بفساد النتيجة فكيف ببطلانهما معا؟

ثانيا: تعيين قبره

لم يأت الزاعمون بأثارة من علم في وجود هذا الصحابي بحضرموت، ولن نؤمن لتعيينهم إياه حتى يظهروا لنا مستندهم في ذلك، فقد تم إلحاقه بحروب الردة في حضرموت، وأخبارها قد جاءت مفصلة في كتب التاريخ، ولكنها معطلة عن روايات أهل التصوف القائمة على ساق الكشف، ففي حين نقرأ دور زياد بن لبيد البياضي رضي الله عنه وأصحابه في التصدي للمرتدين لم نمر على حكايات من جنس وجود سبعين بدريا بمقبرة زنبل بتريم! واكتشاف قبر عباد بن بشر بقرية اللسك شرقي تريم على يد ثلاثة من أقطاب الطريقة فمنهم من يكاشف به، ومنهم من يراه يقظة، ومنهم من يستحضر روحه، مع أن كتب التراجم تذكر استشهاده باليمامة، ولولا خشية الإطالة لسكبت كثيرا من الحبر في هذا المقام.[1]

ثم أن ما زعموه من يهودية أهل حريضة أمر خطير لا ينبغي الاحتمال فيه بحكايات كهذه، وارتدادهم بعد إسلامهم وقتل هذا الصحابي واستمرار يهوديتهم،

(١) انظر خبر قبور البدريين في الجوهر الشفاف (مخطوط) ، وخبر عباد بن بشر برد النعيم (مخطوط) وقارن بينه وبين ما ذكر في الإستيعاب ١ /٢٤٢ . الإصابة ٢ /٩٢ . أسد الغابة ٢ / ٧٠ . سير أعلام النبلاء ١ /٣٣٩.

وإسلامهم على أحمد بن عيسى في القرن الرابع الهجري كل ذلك من دائرة الغلو في تصوير دور المنقذ المذكور، ولا أدري كيف جاست كتائب الحضارمة البلاد في الفتوحات ولم تستطع إقناع حفنة من اليهود تعيش بين ظهرانيهم؟ ثم كيف غفلت عنهم شراة الإباضية أيضا؟

مع أننا لا ننكر ذكر نفر منهم كانوا قبل البعثة، ولكن كلِف صوفية حضرموت بخبر أحمد بن عيسى حتى شغفهم حبا، وما زال بهم هذا الحب حتى انتهى إلى هذا الحد من المغالاة، فجعلوا أهل حريضة يهود أسلموا على يديه، ومن ذلك أنهم عبّدوا بعض قبائل تنتسب لكندة فجعلوهم موالي قدموا مع أحمد بن عيسى من العراق.[١]

وعلى كل أمر فلا بد من دليل على تعيين قبر كعب بن زهير بعد المطالبة بإثبات وجوده بحضرموت (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) ، والنصوص التاريخية تفيدنا أن كعبا رضي الله عنه كان بالشام، وقد عاش إلى خلافة معاوية رضي الله عنه، فقد ورد في كتاب الكامل في التاريخ قال: (فلما كان زمن معاوية أرسل إلى كعب: أن بعنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً، فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم).[٢]

---

(١) إدام القوت ٣٨٤.
(٢) الكامل لابن الأثير ١ /٣٤٠.

وخبر البردة من الأمور المشهورة، قال ابن كثير: ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه فالله أعلم.(١)

الثالث: ما يترتب على تعيينه

بعد مصرع الدعوى في وجود القبر وتعيينه بقي مناقشة ما يترتب على الأمرين كليهما، وهو ما زعم بأن قبره يزار ويتبرك به، وهو أمر ينطوي على شيئين أحدهما مشروع وهو الزيارة بمراعاة آدابها الشرعية، والآخر محظور وهو التبرك به.

وينبغي الحذر في إحياء التراث مما يضاد الشرع من تعظيم القبور الذي يعد من أعظم الذرائع المفضية إلى الإشراك، ولذا فقد سد الشرع هذه الذريعة صيانة للتوحيد، وقطعا للمادة التي تؤدي إلى الذنب العظيم، وما الفتنة التي دخل الداخل بها على قوم نوح إلا من هذه البابة، وهي تعظيم الصالحين، وما في ذلك من مشابهة اليهود والنصارى كما في حديث لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، قال الحافظ ابن رجب: (وقد دل القرآن على مثل ما دل عليه هذا الحديث وهو قول الله عز وجل في قصة أصحاب الكهف: ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن

---

(١) البداية والنهاية ٤ /٤٢٩ وفي معجم الصحابة ٥ /٤٢٣لابن قانع ت ٣٥١ هـ : حدثنا أبو واثلة عبد الرحمن بن الحسين المزني ، نا الزبير بن بكار ، عن بعض أهل المدينة ، عن يحي بن سعيد الأنصاري ، عن سعيد بن المسيب قال : . بعد ذكر قصة مجيئ كعب إلى النبي صلى الله عليه وسلم معتذرا . أنشده قصيدة منها :

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

فكساه النبي صلى الله عليه وسلم بردة له ، فاشتراها معاوية من ولده بمال ، فهي البردة التي تلبسها الخلفاء في الأعياد . وفيه علتان الجهالة والإرسال ، وأما ما ورد في أحكام أهل الذمة لابن القيم١/٢٤٦ وفتاوى السبكي ٤ /٢٢٧ أن كعبا باع معاوية البردة فإنها غريبة إلا إن حملناها على ورثته.

عليهم مسجدا) فجعل اتخاذ القبور على المساجد من فعل أهل الغلبة على الأمور، وذلك يشعر بان مستنده القهر والغلبة واتباع الهوى، وأنه ليس من فعل أهل العلم والفضل المنتصر لما أنزل الله على رسله من الهدى).[١]

وقد استظهر ابن كثير عند قوله تعالى **(قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا)** أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد»** يحذر ما فعلوا.[٢]

وإذا كان المراد من إظهاره ما قيل آنفا فخفاؤه رحمة، كما روى البخاري في صحيحه عن ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال (رجعنا من العام المقبِل فَما اجتمع منا اثنانِ علَى الشجرة التي بايعنا تَحتَها كَانت رحمةً من الله).[٣]

وروى البخاري أيضا عن طارقِ بنِ عبد الرحمن قَال: (انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون قلت: ما هذا المسجد قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت سعيد بن المسيب فضحك فقال: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فلما خرجنا من العام

(١) فتح الباري في شرح البخاري٦٥ / ٢٨٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٥ /١٤٧ وتتمة كلامه وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق، أمر أن يخفى عن الناس، وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده، فيها شيء من الملاحم وغيرها.

(٣) قال الحافظ في فتح الباري ٩ \ ١٣٦ (وَبيَان الحِكمَة فِي ذَلِك وهو أن لا يحصل بِها اِفتِتَان لِما وَقَع تَحتهَا مِنْ الخَير ، فَلَو بَقِيَت لَمَا أُمِنَ تَعظِيم بَعض الجُهال لَهَا حَتى رُبَمَا أفضَى بِهِم إِلَى اِعتِقَاد أَن لَهَا قُوَة نَفْع أَو ضَر كَمَا نَرَاهُ الآن مُشَاهَدا فِيمَا هوَ دُونَهَا) انتهى.

المقبل نسيناها فلم نقدر عليها، وفي رواية: فعميت علينا فقال سعيد: إن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها أنتم فأنتم أعلم).

وقد وردت بعض الروايات التي تفيد أن عمر رضي الله عنه أمر بقطعها عن نافع قال: كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان فيصلون عندها قال: (فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت) رواه ابن سعد في الطبقات، وقال الحافظ في إسْنَاده صَحِيحٍ.[١]

والعجب من استغلال بعض الشيعة هذا الخبر للنيل من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والغمز في الحط من فضله، لأن هذا الخبر يتنافى مع دعوتهم لتعظيم المشاهد والصلاة عندها، وظنوا أن ذاك قدح، وإنما هو مدح.[٢]

وتلك شكاة عار عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه عارها، وشتان بين مسلك الصحابة في صيانة التوحيد وبين الرافضة في تعظيم المشاهد والآثار ومن تأثر بهم من المتصوفة.

وهكذا اتضح لنا أن هذه الدعاوى إن كان المراد منها الدعوة إلى تعظيم القبور فإنه يفضي إلى ما أفضت إليه من مفاسد، ومن لم يراع هذه الوصايا فقد نادى على

---

(١) الطبقات الكبرى ٢ /١٠٠. فتح الباري ١١ /٤٩٠ ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢ /٢٦٩ بسند رجاله رجال الصحيح، وأشار الألباني إلى ضعف الرواية للانقطاع في كتابه تحذير الساجد ١ /١١٢، ولعل الواسطة هو عبد الله بن عمر كما تفيده رواية البخاري.

(٢) انظر هذا في شرح نهج البلاغة: ١ / ٥٩ – ٦٠ وشرحه لابن أبي الحديد: ٣ / ١٢٢، حيث تفردوا بزيادة (أراكم أيها الناس رجعتم إلى العزى ألا لا أوتى منذ اليوم بأحد عاد لمثلها إلا قتلته بالسيف كما يقتل المرتد ثم أمر بها فقطعت).

نفسه بالهلكة، وتسور الحمى المنهي عنه، ورعى حوله فيوشك أن يرتع فيه شأن الذين غلبوا على أمرهم.

وخلاصة الكلام أن هذه المزاعم ما هي بمزحزحتنا عن الجادة التي نحن عليها في شأن قبر هذا الصحابي إلى مخطوطة رثة لا تغني شيئا، وقد عزبت عنهم الأدلة ، وما نحن بالذين تستهوينا أقوال الرجال حتى نعرضها على الميزان الشرعي، والذي أتمناه أنني قد جليت وجه الحقيقة وأسهمت في هذا الموضوع المهم، راجيا محض النصح للمسلمين.

المقالة الثامنة

شرح

القصيدة البكرية الحضرمية في الرد على الرافضة الإمامية

بقلم
أكرم بن مبارك عصبان

توجد بحضرموت قصيدة تدعى بالبكرية ـ نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ـ وتنشد منذ زمن بعيد في مجمع من الناس في وقت اجتماعهم، وهي تحمل في أبياتها دلالات كبيرة نريد أن نقف عندها بالتأمل، وأعظم هذه الدلالات وأبينها هو تحصين عقيدة أهل حضرموت السنية من غزو الرافضة الذين تسللوا فيها لواذا، وجاسوا خلال ديارها، فكان دور العلماء في بيان فضائل الصديق، وتوضيح زيف الرفض وزيغه.

وإذ أن الرافضة كانوا يستهدفون المجتمع استوجب ذلك الرد أن يتناسب مع هذا المكر، ويختار السلاح المناسب للمواجهة، وليس هنالك أنبل من سهام الشعر الذي يحمل المدح والثناء لأبي بكر، والقدح والهجاء للرافضة، وهو عليهم أشد من وقع النبل.

والبكرية موضوعها حماية أعراض الصحابة، فهي تنافح عنهم لما افتراه الرافضة في أبي بكر، وتفيض في فضائله التي استنبطها الشاعر من الآثار، وصاغها في حلة جميلة، يشاع فيها الترضي عن الصديق.

والبكرية تمتاز بسهولة ألفاظها، ووضوح معانيها، وحتى تشاع في المجتمع فقد ارتأى المتأخرون أن تؤدى بإنشاد اختاروا له المساجد لاجتماع الناس في أوقات مخصصة، فأما الشعر في المسجد فلا بأس به إذا أجاب الشاعر فيه عن الإسلام وذب عن أهله، فقد بوب له الإمام البخاري في صحيحه، وأورد حديثا مرفوعا: **(يا حسان أجب عن رسول الله صلى الله عليه و سلم اللهم أيده بروح القدس)**، وسيأتي بحث ذلك لاحقا.

والعجيب أيضا في استغلال اجتماع الناس في مكان وزمان مناسبين لبيان عقيدة أهل السنة فإنه قد استخدم هذا المنبر أيضا في بث معاني أخرى، وأنا أريد أن أدندن هنا على بعض قصائد الإحدى عشرية التي آوتها القويرة من وادي دوعن، وهذا يجعلنا نفرده بفصل نشفعه بالبكرية.

والذي نجزم به من دلالة هذه البكرية دخول الرفض حضرموت، والنيل من الصحابة لاسيما أبا بكر، ولكننا لا نملك التفاصيل في هذا المضمار، وهو ما يتعلق بوقت دخوله، وقادته الذين تولوا كبره، فإن كتب التاريخ لاذت بالصمت عن هذا.

نعم يستغرب الناظر في أطروحات عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف الكثيرة التي يؤكد فيها على إمامية سلفه من العلويين مرارا، ويصر على ذلك إصرارا، ولا نملك الدوافع وراء هذا الإصرار، هذا أمر ثالث سنعزز به المبحثين السابقين.

ومن العجائب التي تستدعي إجالة النظر فيها البقاء على ترداد هذه القصيدة البكرية في ساحل حضرموت واحتفاء أهله بها في حين توارت في مدن الوادي ومراكزه العلمية كتريم، فلا تكاد تعرف اليوم، وهذا التواري يخفي وراءه مكنونات يستعصي علينا فهمها، فلا نفقه كنهها، ونحتاج من يتصدق علينا بالإفادة مشكورا.

والبحث يدور على ثلاثة فصول:

الفصل الأول

شرح القصيدة البكرية

أولا: براعة الاستهلال

ابتدأ الشاعر إبراهيم القصيدة البكرية بمطلع يفي ببراعة الاستهلال لذكر ما يتحرى بيانه من فضل أبي بكر رضي الله عنه، وتحصين عقيدة الأمة من الرافضة الذين ينالون منه بالسب والطعن، وقصيدته هذه إجابة تحتمت عليه إذ سئل عن هذه المسألة وفي حديث أبي هريرة مرفوعا: (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار) رواه الإمام أحمد فكانت إجابته في هذه القصيدة لتشيع بين الناس.

أيا سائلي عن مدح من جلّ في الذكر
وما جاء في وصف الإمام أبي بكر
تسمّع هداك الله إن كنت لا تدري
فيا ليت شعري ما مديحي وما فكري
لقد جاء في القرآن مدح أبي بكر

لقد قطع القرآن قول كل خطيب في مدح الصديق رضي الله عنه، وما يأتي بعد ذلك فهو تابع له، ويؤكد الشاعر هنا على وصف الصديق بالإمام كما جاء في المطلع مرتين. ويكثر في بقية الفصول. للرد على الشيعة في تخصيص علي بن أبي طالب بذلك دون الثلاثة، وهي لفتة مهمة يغفل عنها كثير من أهل السنة حين يخصون عليا بن أبي طالب بالإمام دون غيره، ويشير الشاعر إلى ما نزل من القرآن في أبي بكر رضي الله عنه من ذلك قوله تعالى ﴿إِذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، وسيأتي ذكر ذلك في حديث الغار.

ومنها قوله تعالى: ﴿والَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ففي الأقوال المشهورة أن الذي صدق هو أبو بكر كما ذكر الطبري في تفسير هذه الآية عن عليّ رضي الله عنه، في قوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ قال: محمد صلى الله عَلَيه وسلم، وصدّق به، قال: أبو بكر رضي الله عنه.[١]

(١) تفسير الطبري الآية المذكورة.

ومنها قوله تعالى: (وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى، الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى، وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى، إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى) فقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنها نزلت في قصة أبي بكر فذكر ابن جرير في تفسيره بإسناده عن عبد الله بن الزبير وغيره: أنها نزلت في أبي بكر(١).

ثانيا: محبة الصديق من السنة

محبة أبي بكر الصديق من السنة فهو أفضل الأمة بعد نبيها، وعلى هذا درج أهل السنة والجماعة في تقريره في دواوينهم، وتقييده في عقيدتهم، وأجمعت الأمة على أنه الخليفة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا السياق يصرح الشاعر بمحبته قائلا:

أبو بكر في الإسلام هادي ومهتدي
فتابع أبا بكر ودع كل معتد
فمن حبِّه تشفى القلوب وتهتدي
أبو بكر خير الناس بعد محمد
فيا فوز من حبَّ الإمام أبا بكر

وقد ورد عن بعض السلف: أن حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة كما رواه الإمام أحمد عن مسروق، وكذا قال شقيق بن عبد الله وطاووس، وهؤلاء الثلاثة من التابعين مثل ذلك، وقد روى عن ابن مسعود رضي الله عنه، وروي

(١) تفسير الطبري وكذلك ذكر ابن أبي حاتم والثعلبي أنها نزلت في أبي بكر رضي الله عنه.

بالسند عن الحسن البصري رحمه الله: قيل للحسن: حب أبي بكر وعمر من السنة قال: لا، فريضة.

وكان السلف يعلمون أولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمونهم السورة من القرآن، وهذا الذي اقتفاه الشاعر وبين أن أهل حضرموت كانوا عليه.

فالناس فريقان منصف في شأن أبي بكر، ومعتد وهم الرافضة، وقوله (أبو بكر خير الناس بعد محمد) قد ذكره في موضع آخر بما لفظه (أبو بكر خير الناس أفضل من مشى، على الأرض من بعد النبي وإن تشاء)، ويدل على هذا ما رواه البخاري عن محمد بن الحنفية، قال: قلت لأبي ـ يعني عليا بن أبي طالب: أي الناس خير بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –؟ قال: أبو بكر. قال: قلت ثم من؟ قال: ثم عمر.

ثالثا: الصحبة في الغار

وفي القصيدة البكرية نظم الشاعر كثيرا من الفضائل الواردة في منزلة أبي بكر الصديق، وصاغ الآثار المذكورة في مناقبه، ولكن يعد حديث الغار وما حصل فيه من أعظم المناقب، ولذا فقد شغل الكثير من أبيات البكرية تفصيلا وتنويعا وتأكيدا، ونأخذ هنا المقطع الأول:

أبو بكر صـديق النبي وصديقه

ومؤنســه في غاره ورفيقه

ومن لـسعة الثعبان كان شفيقه

رقاه الـنبي حقا وأبراه ريقه

شفى عند ذاك اللمس وجه أبي بكر

فأعظم فضائل الصديق صحبة النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال تعالى **(إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا إِذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا)** وفي الآية من مناقب أبي بكر أن الكفار أخرجوه، وأنه صاحب النبي صلى الله عليه وسلم في الغار، وأنه مشفق عليه فقد حزن على ما سيصيبه من أذى، وأنه مشارك في معية إن الله معنا وما ظنك باثنين الله ثالثهما، وأنه نزلت عليه السكينة.

وقد توارد أهل السير على كثير من الآثار في حديث الغار اعتمد الشاعر عليها منها عن ابن عباس: (أبو بكر صاحبي و مؤنسي في الغار).(١)

وفي مسند البزار (أن الله تعالى أمر العنكبوت فنسجت على باب الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على باب الغار) وأن ذلك مما صد الكفار عن دخوله،

(١) انظر الجامع الصغير ، وقد أورده الألباني في ضعيف الجامع رقم (٥٦)..

وذكر الحافظ ابن حجر أن قصة نسج العنكبوت في مسند أبي بكر الصديق لأبي بكر بن علي المروزي شيخ النسائي من مرسل الحسن.(١)

وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاع، فخشي أبو بكر أن يخرج منهن شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقمه قدمه فجعلن يضربنه ويلسعنه: الحيات والأفاعي، وجعلت دموعه تنحدر.(٢)

وذكر الشاعر ما يتعلق بطلب الكفار لهما إلى باب الغار، وأشار إلى التحام الحجر، وخوفه على النبي صلى الله عليه وسلم، وحديث الحماماتين، وبشارة النبي له بالجنة.

رابعا: حديث الطائر في الغار

ومن هذه البابة في التأكيد على محبة أبي بكر رضي الله عنه فإن الناظم يعرض حديث الغار في لباس جديد عن طريق التصوير، وينقلنا إلى حوار مع الطائر الذي في الغار، وهو طائر مقيم منذ عهد آدم، يروم اللقاء بأبي بكر، وقد رآه الصديق لا يتكلم فقال: من أين هذا الطير يسقى ويطعم؟ فصاح به: اسمع هديت أبا بكر، ثم أردف قائلا

(١) انظر الجامع الصغير ، وقد أورده الألباني في ضعيف الجامع رقم (٥٦)..

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٢ /٣٣٩، ولما غصت الرافضة بحديث الغار وما فيه من مناقب للصديق، قال كبيرهم « لا فضيلة له في الغار ؛ لجواز أن يستصحبه حذراً منه ؛ لئلا يظهر أمره...»!!وقد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في «المنهاج» وبسط القول فيه (٤/ ٢٣٩-٢٧٣).

أبو بكر لي من قبل آدم فاسمعوا
مقيما بهذا الغـار لا أتزعزع
وذكرك قوتـي بالرضا أتقنع
وألعن من يشناك أروى وأشبع
عليك سلامي والرضا يا أبا بكر

والمراد من هذا بيان محبة أبي بكر والشوق للقائه حيث ظل هذا الطائر ينتظر الاجتماع به هذه الفترة الطويلة، وزاده الذي يتقوت به هو محبة الصديق، ولعن باغضيه، وهذا من أروع العرض والتصوير.

وقد اجتهدت لا آلو في البحث عن سند هذا الحوار، فلم أظفر بخبر صحيح، نعم هناك أثر يشير إلى وجود اليمامة بالغار، فتصور الناظم هذا الحوار من غير أن يلوي على صحة القصة، والأثر عن جابر بن عبد الله: (أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما ذهب مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغار، فأرادا أن يدخلا الغار، فدخل أبو بكر ثم قال: كما أنت يا رسول الله، فضرب برجله فأطار اليمام يعني الحمام الطواري، وطاف فلم ير شيئا...)(١)

خامسا: الترضي على الصديق شعار أهل السنة والجماعة

الترضي على أبي بكر رضي الله عنه يعد من شعار أهل السنة، فمن معتقدهم أن ينشروا فضائل الصحابة، بل ويكثروا من ذكرها، وأن يكرروها في المجالس، وأن

(١) انظر الشريعة للآجري ٣ /٤٠١.

يرددوها في المحافل حتى يعرفها القاصي والداني، والصغير والكبير، وتفوح سيرتهم الزكية لتعطر المكان، وفي ذلك رد على منتقصيهم، قال الشاعر:

أبو بكر الصديق ذو الفضل والمنن
فمن فضله عند النبي قد اندفن
فما بينهم شيء سوى طية الكفن
فإن كنت من أهل الجماعة والسنن
ترض عن الشيخ الإمام أبي بكر

فإن كنت من أهل السنة والجماعة فترض عن الصديق إرغاما للرافضة الذين ينالون منه، وقد اشتهر الترضي عند أهل حضرموت بذكر الأربعة في مجامعهم في أمرين:

. **أحدهما**: خطبة الجمعة، ففي فتاوى ابن حجر ما نصه: وأما حكم الترضي عن الصحابة في الخطبة فلا بأس به سواء أذكر أفاضلهم بأسمائهم كما هو المعروف الآن أم أجملهم، ونقل الرملي في حاشيته عن ابن عبد السلام إن الترضي عن الصحابة رضي الله عنهم على الوجه المعهود في زماننا بدعة غير محبوبة وبحث بعضهم استحبابه حيث كان في بلد الخطبة مبتدع لا يحب الصحابة إذا لم يؤد ذلك إلى فتنة.[١]

. **وثانيهما**: الترضي بين تسليمات التراويح، فيبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم الترضي على الأربعة، وقد سئل الفقيه باحويرث في فتاويه هل

(١) انظر إعانة الطالبين ٢ /٧٦. حاشية الرملي ١ /١٦٢.

تسن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بين تسليمات التراويح أو هي بدعة فنقل جواب ابن حجر بما حاصله الصلاة في هذا المحل بخصوصه لم نر فيه شيئا من السنة ولا في كلام الأصحاب، فهي بدعة ينهى عنها من يأتي بها بقصد كونها سنة لا من حيث العموم بل جاء في الحديث ما يؤيد الخصوص إلا غير كاف في الدلالة لذلك.

سادسا: حب أهل حضرموت لأبي بكر الصديق

وفي البكرية أيضا ما يدل على سلامة عقيدة أهل حضرموت، وأنهم كانوا يحبون الصحابة، ويذكرون محاسنهم، ويعنون بإفشائها ونشرها، كما اعتنى بذلك العلماء حين رأوا الرافضة يكذبون عليهم، ويطعنون فيهم، وأثمرت هذه العناية إشاعة محبة أبي بكر عند الناس عامتهم وخاصتهم، رجالهم ونساءهم، يتوارثونه جيلا بعد جيل لتتكسر سهام الرافضة على هذه الصخرة من الاعتناء بمحبة الصحابة فقال الناظم :

أبو بكر ما خابت لديك مقاصدي
فإني محب ما قطعت عوائدي
وشوقي ووجدي لم يزل في تزايد
كذلك أيضا كان جدي ووالدي
ووالدتي كانت تحبُّ أبا بكر

فقد كان جده وأبوه وأمه على هذه العقيدة الصحيحة، وهي محبة الصديق، ومن ذا الذي لا يحبه وهو صاحب المناقب المشهورة التي دلت عليها النصوص؟

أفيلام من ملأ صدره محبة له وربّى أسرته على ذلك؟ فقبح الله الرافضة، وقد قال الذهبي: كل من أحب الشيخين فليس بغال، بلى من تعرض لهما بشئ من تنقص، فإنه رافضي غال، فإن سب، فهو من شرار الرافضة، فإن كفر، فقد باء بالكفر، واستحق الخزي.[(١)]

سابعا: التوسل بحب الأربعة

والصحابة أكمل هذه الأمة عقلاً وعلمًا وفقهًا، وقد أثنى الله عليهم، ورضي عنهم وأعد لهم الحسنى كقوله: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ ويعد الشاعر محبتهم دينا يتوسل به إلى الله فيقول :

أبو بكر والفاروق أعظم بغيتي
وعثمان ذو النورين سؤلي ومنيتي
وأرجو عليا عدتي عند شدتي
كذا الستة الباقون عند وسيلتي
وأفضلهم كان الإمام أبا بكر

ومحبة ذي النورين وعلي رضي الله عنهما لا تتفق مع فكر الإباضية فنعلم أن قائل البكرية ليس منهم، ردا لما قد يتوهمه بعض الغالطين، وأما التوسل المذكور فالتعبير عنه بهذا الأسلوب قلق، وفي النفس منه شيء، فالتوسل منه الصحيح والبدعي والشركي، فإن كان مراده محبتهم فصحيح وفي الأبيات ما يقربه كقوله (عند

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/ ١١٥.

وسيلتي) كما أن فيها ما يبعده، وإن كان التوسل بحقهم ومنزلتهم فبدعي محظور، وأما الاعتداد بهم عند الشدائد فهو الشرك نرده ولا كرامة.

ثامنا: ذكر عائشة رضي الله عنها

ومن مكارم أبي بكر مصاهرة المصطفى له، وزواجه من بنته أم المؤمنين عائشة، وقد أجمع أهل السنة على عظم منزلتها ومحبتها، والناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة لما يعلمون من محبته عليه الصلاة والسلام إياها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام، قالت: وعليه السلام ورحمة الله، ترى ما لا نرى)[١]، ولها فضائل كثيرة يشرق بها الرافضة يقول الشاعر:

أبو بكر قد حاز المكارم كلها
بعائشة المشهور في الناس فضلها
كريم أبوها ليس في الخلق مثلها
فمن مثلها والمصطفى كان بعلها
ووالدها كان الإمام أبا بكر

وهو يشير إلى ما ثبت عن عمرو بن العاص: أن النبي عليه السلام بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلت: (أي الناس أحب إليك؟ فقال: عائشة. فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها. فقلت ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب. فعد رجالا).[٢]

(١) رواه الشيخان في صحيحيهما.
(٢) رواه الشيخان في صحيحيهما.

ولكن الرافضة مردوا على الطعن في الصحابة، وارتووا من ذلك، ووردوا الكذب ورد الأحاديث الصحيحة، ومتى إفاقة من به سكران؟ وقد قال الشافعي: لم أر أحدا أشهد بالزور من الرافضة.[١]

تاسعا: فسق مبغضيه ونفاقهم

يعقد أهل السنة محبة الصحابة في كتب الإيمان، ويقررونها في العقائد، ويفردونها أيضا بأبواب في كتب الحديث، فالبخاري في صحيحه جعل كتاباً في الفضائل، وابتدأه بفضائل أبي بكر، ثم بفضائل عمر ثم بفضائل عثمان، ثم بفضائل علي، لأن المؤمن يحبهم للنصوص الواردة في فضلهم قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، ولا يبغضهم إلا منافق في قلبه غل، لم يستمع إلى ما ورد في حقهم من الترضي، ومن هنا قال الشاعر:

أبو بكر ما يبغضه غير منافق
أبو بكر ما يغتابه غير فاسق
أبو بكر في الإسلام بحر الحقائق
إذا شئت أن تدعى بأكرم سابق
ترض عن الشيخ الإمام أبي بكر

---

١) سير أعلام النبلاء ١٠ /٨٩.

وأهل السنة قد طهروا ألسنتهم عن ذكر الصحابة بعيب، بل وينفرون مما تلبست به الرافضة، ويقشعرون من ذكره كما قال الحسن بن عمرو: قال لي طلحة بن مصرف: لولا أني على وضوء لأخبرتك بما تقول الرافضة.[١]

والشاعر يعرض بالشيعة والمتصوفة الذين يطلقون على أئمتهم وأقطابهم بحور الحقائق ، ويرى أن أولى الناس به هو أبو بكر، ولئن بغضت الرافضة أبا بكر فإن منزلته عند الشاعر كما يقول في بعض الفصول (ومسكنه في القلب والسمع والحشا، وفي كل عصر لاح حب أبي بكر).

عاشرا: التصريح بذكر الرافضة

والرافضة قد ولغوا في ذكر ما يعيب الصحابة، وحملوا على الشيخين حملة نكراء حتى امتلأت قلوبهم غلا عليهما، وهذا غير سبيل المؤمنين الذين يسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلا للذين آمنوا، قال جعفر الصادق برئ الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر[٢] وقد قال الشاعر في التصريح بذكر الرافضة:

أبو بكر في حجابه السادة الغرر
وباغضهم لا شك يحشر في سقر
أحب أبا بكر ومن بعده عمر
وقل للشقي الرافضي الذي كفر
فإني محب للنبي وأبي بكر

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥ / ١٩٢.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ٦ /٢٦٠ قال الذهبي عقبه: هذا القول متواتر عن جعفر الصادق، وأشهد بالله إنه لبار في قوله غير منافق لأحد، فقبح الله الرافضة.

نجد الشاعر هنا يرى أن الرافضي قد كفر، وليس قوله هذا بدعا، بل روايات آل البيت تصرح بذلك كما ذكر العلامة ابن الوزير أحاديث كفر الروافض فقال: (وقد رويت من طرق كثيرة على غرابتها، وخلو دواوين الإسلام الستة منها، فرويت عن علي عليه السلام وفاطمة والحسن عليهما السلام وابن عباس وأم سلمة رضي الله عنهما، وروى الامام الهادي عليه السلام منها حديث الحسن عليه السلام في كتاب الأحكام في كتاب الطلاق[1] منه في باب من طلق ثلاثا، وقد ذكر الإمامية فقال ما لفظه:

(وفيهم ما حدثني أبي وعمي محمد والحسن عن أبيهم القاسم عن أبيه عن جده عن إبراهيم بن الحسن عن أبيه عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب عليه وعليهم السلام عن النبي وآله أنه قال يا علي يكون في آخر الزمان قوم لهم نبز يعرفون به يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فاقتلهم قتلهم الله تعالى فإنهم مشركون) ا هـ بحروفه.

فالزيدية يترضون على الشيخين، وهذه العقيد تدلنا على أن الذين نشروا عقائد الرفض بحضرموت لا يمتون للزيدية بصلة، وأن الشاعر إنما يعني هؤلاء الرافضة، درءا لما قد يتوهم من أن سبب العناية بالقصيدة البكرية هو الرد على الزيدية.

ويصرح الشاعر بمذهبه هذا أيضا في فصل آخر قائلا (كذلك من يبغضه في النار أدلجا، وسود منه الوجه باغض أبي بكر).

(١) انظر إيثار الحق على الخلق ١ /٣٨٢ وقال ابن الوزير: ولا أعلم في الأحكام إسنادا متصلا مسلسلا بأهل البيت عليهم السلام سواه إلا أن يكون مرسلا أو مقطوعا أو مدخلا فيه غيرهم من الرواة، وقد أحببت سياق هذا الاسناد الشريف لهذا المتن لجلالة رواته)

الخاتمة

وفي خاتمة البكرية يعترف الشاعر بتقصيره في المديح، ويصرح باسمه إبراهيم قائلا :

أبو بكر إني في المديح مقصر
ومدحك والإحسان والجود أكثر
بمدحك إبراهيم ينظم جوهرا
بمدحك أرجو الله للذنب يغفر
ولو كان أعداد الحصى يا أبا بكر

وجزى الله الشاعر إبراهيم عنا خيرا ، وقد ساق لنا في قصيدته هذه فضائل الصديق التي وردت في النصوص، كتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس في حادثة الإسراء فقال (يصدق مسراك الإمام أبو بكر)، ومنها مجيئه بماله كله في غزوة تبوك حيث يقول (أبو بكر بالأموال جاء محتسبا)، وما ذكرنا دليل على صدق محبة الشاعر لأبي بكر، وبرهان على ذلك.

وخلاصة الموضوع أن القصيدة البكرية تدل على أمور :

. فمنها دخول الرافضة حضرموت، وظهور لعن أبي بكر.

. ومنها عرض مناقب أبي بكر وفضائله في شعر يمتاز بالسهولة والوضوح.

. ومنها إشاعة هذه القصيد في المحافل والاجتماعات.

. ومنها الرد على الرافضة وتحصين عقائد الأمة من زيفهم.

ـ ومنها أن قائلها من أهل السنة والجماعة بحضرموت في عصر قديم، ولم يكن أباضيا فقد ذكرت محبة عثمان وعلي، كما أنه لا يعني الزيدية لترضيهم على الشيخين، ولا الإسماعيلية بطوائفها التي دخلت حضرموت كما سنشير إليه في الفصل الثالث، فلم يبق إلا أنه يعني قوما أرادوا نشر عقائد الرافضة، ولعن الشيخين.

ـ ومنها انتشارها في حضرموت وبقاؤها في ساحله إلى وقت قريب، بحضور النساء والأطفال حتى يتربوا على هذا الطريق القويم، وأما رغبة أهل حضرموت الوادي عنها فإنه هجر غريب.

ـ وما أحوجنا في زماننا هذا إلى إشاعة القصيدة البكرية وقد ظهرت نابتة الرفض ببعض بلاد حضرموت، وهم قلة أفراد، ولكنهم كجمرة مخبؤة يوشك أن يكون لها ضرام، وفاحت رائحته الخبيثة في الطعن في أبي بكر رذي الله عنه، واللمز في جنابه، فلله ما أصدق القصيدة البكرية لهجة.

مبحث

تخصيص إنشادها في المساجد في بعض الأوقات

بعد أن قضينا وطرنا من القصيدة البكرية تعليقا وشرحا لمضامينها نريد أن نعرج على أمر ذي بال يتعلق بإنشادها في المساجد في أوقات مخصوصة في العشر

الأواخر بعد صلاة التراويح وغير العشر أيضا، إذ أن فرحنا بها لا يعفينا من بحث هذه المتعلقات عليها، ولا تكلّ عيننا الراضية على معانيها من ذكر ما يظن أنه من العيوب المرافقة لها، ومناقشتها الحساب، وهذا يظهر عدل أهل السنة، الذين ينادون بعرض الأقوال والأعمال على الكتاب والسنة، ويبدأون بأنفسهم.

لقد كان الغرض من القصيدة البكرية تحصين أهل حضرموت من عقائد الرافضة الردية وأفكارهم المردية، وتم استحسان انتشارها في المساجد في العشر الأواخر من رمضان بعد صلاة التراويح لهدف اجتماع الناس، مما يدل على أن خطر الرافضة كان محدقا بحضرموت، ويتطلب أمرا من إذاعة باطلهم وإشاعته.

وكتب أهل السنة في العقائد والحديث ودواوينهم مليئة ببيان فضل الصحابة ونشر مناقبهم والرد على منتقصيهم، والقصيدة البكرية من هذا الباب، ولكن ما طرأ عليها من تخصيصها بوقت في المساجد قد يكون محل نظر، نريد أن نلتفت إليه.

فأما الشعر في المسجد إذا دعت إليه الحاجة من الذب عن الإسلام فقد كان موجودا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقد بوّب على ذلك الإمام البخاري كما سبق في المقدمة، وفي الترمذي من طريق أبي الزناد عن عروة عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه و سلم ينصب لحسان منبرا في المسجد فيقوم عليه يهجو الكفار قالت عائشة فسمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول لحسان أن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله.

تخصيص ذلك باجتماع الناس بعد صلاة التراويح في العشر الأواخر أو بعد بعض الصلاة أحيانا فالنظر فيه من خلال تحقيق المناط، هل هذه الصورة يوجد فيها العبادة وهو تحقيق مناط البدعة فتكون محظورة، أم أنها ليست عبادة فمناط المنع ليس موجودا، فالحديث هنا من جهتين:

. **الأولى:** إن كان تخصيصها بذلك عبادة فمناط البدعية مبني عليها.

. **الثانية:** إن كان المقصود اجتماع الناس، وأن ذلك مصلحة يوجد مقتضاها، قال شيخ الإسلام: (فكل أمر يكون المقتضي لفعله على عهده صلى الله عليه وسلم موجودا أو كان مصلحة ولم يفعله، يعلم أنه ليس بمصلحة، وأما ما حدث المقتضي له بعد موته من غير معصية الخالق، فقد يكون مصلحة، ثم هنا للفقهاء طريقان:

أحدهما: أن ذلك يفعل ما لم ينه عنه، وهذا قول القائلين بالمصالح المرسلة.

والثاني: أن ذلك لا يفعل إن لم يؤمر به، وهو قول من لا يرى إثبات الأحكام بالمصالح المرسلة).[١]

والقلب أميل إلى منع تعاطيها بهذه الكيفية، وبالله التوفيق.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٧٣.

المقالة التاسعة

وقفات مع الفكر الصوفي الحضرمي
والرد على الدكتور محمد بن أبي بكر باذيب

بقلم
أكرم بن مبارك عصبان

بينما كنت أطالع بعض كتب صوفية حضرموت المخطوطة هالني ما فيها من مقالات غلاة التصوف وخرافات تدمع من هولها العين على التوحيد الخالص والعقيدة الصحيحة أسفا وحسرة، وكنت أظن أن تلك الخرافات ستظل حبيسة المخطوطات، رهينة إدراج المكتبات، وأنه قد مضى زمنها ولن تعدو أن يتغنى بها في المجالس طالبو الجاه، المتاجرون بالكرامات لأكل أموال الناس بالباطل.

وقد مررت فيما قرأته في مجموع كلام أحمد بن عمر بن سميط بهذه الحكاية ونصها: (احفظوا من كلام الزيان ينفعكم فقد روي عن بعض المنتسبين إلى سيدنا العيدروس أنه لما مات وكان يحفظ القصيدة التي أولها (ببسم الله مولانا ابتدينا... الخ) رآه بعضهم في المنام أنه تنازع فيه ملكا القبر أحدهما يريد تعذيبه فقال له الآخر: خلّه إنه يحفظ هذه القصيدة أعني المذكورة، فقال له: لكنَّه يغيِّرُها فقال له: لكنه يقيم هذا لبيت بلا تغيير وهو:

وذكر العيدروس القطب أجلى عن القلب الصدا للعارفينا ولما ذاكرا بهذه الحكاية سيدنا عبد الله الحداد رضي الله عنه قال ونحن نرجو أن نكون كذلك لأصحابنا أو كما قال.(١)

فأخذني العجب كل مأخذ، وقلت أيهم زعيم ببثّ هذه الترهات بل والعورات التي يستحيي من ذكرها فضلا عن طباعتها، فإذا بجماعة يعتنون بهذه الكتب على علاتها ويروجون بين الناس كتبا مليئة بالخرافات والعقائد الباطلة التي إذا قرأها المسلم اشمأز منها قلبه لما تضمنته من عبث بعقائد الأمة تسللت إلى التصوف من الرافضة والباطنية ولا تمتّ إلى الزهدِ بقرابة.

فإن الداخل على المتصوفة أتى من تعظيم أقطابهم والغلو فيهم، ولا يقف الانحراف عند توحيد الألوهية فِي استغاثتهم بِغَيْر الله تعالى، بل تجاوز ذلك إلى خلع صفات الربوبية عليهم وأن لهم قدرة على إجابة المضطر وإغاثة الملهوف وقضاء الحوائج وينسبون إليهم التصرف في الأكوان والمعراج إلى السماء ومطالعة اللوح المحفوظ وضمان الجنة والشفاعة لأهل عصرهم وغير ذلك باسم الولاية والقطبية والغوثية.

فإلى الله المشتكى من أناس يدخلون هذه المعاني في مسمى الولاية، وما هي من الولاية، ويخدعون الناس بأنها من جنس الكرامات ويلبسون على الناس أمر دينهم،

---

(١) ص ١٠٠.

ثم إلى الله المشتكى من قوم يخدعون الأمة ويدعونها إلى الاستغاثة بالأموات باسم التوسل وما ذلك من التوسل بل هو عبادة غير الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

إن المشركين عندما جعلوا مع اللهِ عز وجلَّ آلهةً إنما أرادوا منها الشفاعةَ والقربةَ عندَ اللهِ تعالى، وأنها شفعاؤهم وأنها تقربُهم إلى الله زلفى، وكانوا يعْرِفون اللهَ عزَّ وجل، ويُقرُّون بوجوده وربوبيته وأنه سبحانه وتعالى خلقَهم ورزقَهم، وأنه يملكُ السمعَ والأبصارَ، ويخرجُ الحيَّ من الميت، ويدبرُ الأمر، وإذا سُئِلوا عن ذلك ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾.

فليس المرادُ أن التوحيدَ الذي جاءتْ به الرسلُ مجرد الاعتقاد أن الله تعالى لا شريك له في التصرف والخلق، فَإن أولَئك يصرحون بأن الأنداد تَكونُ شفعاءَ لهم عندَ الله تَعَالى، ونظِيرهُ من يعظِم القبُور، عَلى اعتقادِ أَنهم إذا عَظّموا قبورَهُم فَإنهم يَكونونَ شفعاءَ لَهم عِند الله، ووسائطَ بينهم وبين اللهِ تعالى، يرجون شفاعتهم عند الله في حاجاتهم فهم صالحون لهم مكانة، ولم يكونوا يعتقدون فيهم استقلالية التأثير

في النفع والضر فكيف بغلاة الصوفية الذين يزعمون أن للأقطاب التصرف في الكون وإجابة دعوة المضطر.

العناية بتراث الصوفية

وممن اعتنى ببعض كتب صوفية حضرموت التي تضمنت مقالات الغلاة والخرافة الدكتور محمد بن أبي بكر بن عبدالله باذيب، ونقف مع مضامين هذه المقالات ثلاث وقفات:

- **الأول:** وقفة مع حذف مواضع من الكتاب، وهذا عمل غير صالح، فإنه تصرف ينافي الأمانة العلمية، ونورد هذه المواضع حتى يعرف القارئ سبب الحذف، ولا أعلّق عليها ما عدا الموض الأول، فإن إيرادها وتصورها فضلا عن إمعان النظر فيها كاف ببطلانها.

- **الثاني:** وقفة مع تأويل النصوص الصوفية بما لا يدل عليه السياق، فإذا أرادت الحكاية أن تنقض من الوهن أقيمت بتفسيرات بعيدة لا تتفق مع السياق، فلا يزيدها ذلك إلا وهنا، والكلام إذا كان جليا بيّنا لا يسوغ تأويله، وإنما سبيله الرد إن كان باطلا من غير تأويل، لأنه ربما عاد التأويل بالبطلان على أصول الصوفية أنفسهم من حيث قُدّر المؤول البر بهم وأن يؤدي حقوقا، (ومن البر ما يكون عقوقا)، وأكثر غلطا التكلف في التأويل بالاستدلال بنصوص في غير موضعها.

ونحن سنورد أولا النص ثم نشفع إيراده بالتأويل ثم نعزز بثالث ألا وهو مناقشته الحساب، ونردّه إلى قواعد التصوف التي نشأ منها، والأصول التي قام عليها، ثم نذكر الفروع المشابهة له من كتب الصوفية حتى يتضح المقال.

. **الثالث:** وقفة مع نصوص واضحة البطلان لم يجر عليه القلم بالنكير والحكم بالبطلان، وإنما ذكرت من غير تعليق فإن من أورد نصوصا مخالفة للشرع ولم يعلق عليها وأقرّ الطير في وكناتها فإن هذا إقرار بمضمونها من ناحية وغش للأمة من ناحية أخرى، وصنيع الناصح إذا أورد نصا مخالفا للشرع أن يبين بطلانه حتى يكون القارئ على بينة من الأمر فلا يغتر العامة بورودها، ولكيلا يتبادر إلى الذهن أن المحقق يعتقدها.

مدار الوقفات على ثلاثة كتب

وأول ما وقع في يدي مخطوط كتاب (منحة الإله) ووقفتُ على ما حُذف منه في المطبوع سنة ١٤٢٦ هـ بادرت بإرسال رسالة إلى دار المقاصد للطباعة والتوزيع عبر البريد الالكتروني منبها على أن هناك حذف حتى يتم تداركه والاعتذار عنه، فلم يلتفت إلى رسالتي.

ثم رأيت كتاب مجموع كلام أحمد بن عمر بن سميط وفيه موضع حذفت منه عبارة وفيه تأويل لبعض الحكايات فأوردت التنبيه على ذلك في كتابي (سياحة في التصوف الحضرمي) سنة ١٤٢٧ هـ.

ثم خرج كتاب عقد اليواقيت الجوهرية سنة ١٣٤٠ هـ، على علاته، فجمعت ما وقفت عليه، ولم أبادر بإخراجها حتى وقفت على الترويج للعناية بكتاب تاج الأعراس وطباعته بأندونيسيا، وهو كتاب مليء بمقالات مفسدات للعقائد فكانت هذه الوقفات نصحا للأمة حتى لا تغتر بمفاهيم غلاة الصوفية.

- مراجع البحث

وهذه ثلاثة مباحث سنناقشها رجعنا فيها إلى ثلاثة كتب اعتنى بها الدكتور محمد بن أبي بكر باذيب، وتمت مقارنتها بالمخطوطة وهي:

١ - كتاب (منحة الإله في الاتصال ببعض أولياه) جمعه سالم بن حفيظ بن عبد الله ابن الشيخ أبي بكر بن سالم.(١)

٢ - كتاب (مجموع مواعظ وكلام الإمام العلامة الحبيب أحمد بن عمر بن سميط).(٢)

٣ - كتاب (عقد اليواقيت الجوهرية) جمع عيدروس بن عمر الحبشي.(٣)

هذا ما أحببنا ذكره المقدمة، لننتقل إلى موضوع النبذة في ثلاثة مباحث هي:

---

(١) فأما المخطوطة التي رجعت إليها نسخت سنة ١٣٧٤ بأنامل غانم بن محمد غانم، وأما المطبوعة فكانت بدار المقاصد للطباعة والتوزيع حضرموت تريم الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ.

(٢) فأما المخطوطة التي رجعت إليها فإنها من محفوظات جامع ثبي نسخت سنة ١٣٢٥ هـ.
وأما المطبوعة فالطبعة الأولى سنة ١٤٢٦ بدار الفتح للدراسات والنشر

(٣) فأما المخطوطة التي رجعت إليها من محفوظات جامع ثبي قوبلت على نسخة المؤلف سنة ١٣١٠ هـ وأما المطبوعة الطبعة الأولى بدار الفتح للدراسات والنشر سنة ١٤٣٠ هـ.

١ . وقفة مع حذف نصوص الكتاب.

٢ . وقفة مع تأويل النصوص.

٣ . وقفة مع ما لا يسع السكوت عليه.

المبحث الأول

وقفة مع حذف نصوص الكتاب

النص الأول: قال الملكان: من ربك؟ قال: حبيبي عبد الله باعلوي!

ورد في مجموع مواعظ وكلام أحمد بن عمر بن سميط قول المؤلف: (مرّ سيدنا عبد الله باعلوي على إنسان وهو يقول :

والله يا متشغبه لتخلين   وذكّرش كل أفعال ذي تلقين

فقال له أعد البيت فأبى أن يعيده إلا بشرط أن يضمن له بالجنة فقال له ضمانة بالجنة فأعاده، فقال الحبيب عبد الله باعلوي: إذا مات أعلموني بموته، فلما مات أعلموه به فحضر دفنه فلما دفنوه تغيّر سيدنا عبد الله باعلوي وتلوّن وجهه (وبكى سيدي أحمد عند ذلك واعتبر) ثم قال: ثم أسفر وجهه وقال الحمد لله الذي نجاه).[١]

---

(١) النسخة المطبوعة ص ٣٣٧.

ورد في الهامش عند قوله: (وقال الحمد لله الذي نجاه) ما نصّه: (في هذا الموضع عبارة حذفت عند الطبع).(١)

وهذا كلام يدل على قصد حذفها.

والعبارة المحذوفة عند الطبع وردت في المخطوطة ونصها: (فسئل عن ذلك فقال: إنه سأله الملكان من ربك؟ وما دينك فتبلكم! ثم ألهمه الله أن يقول حبيبي عبد الله باعلوي فقالوا له مرحبا بك وبحبيبك عبد الله باعلوي).(٢)

وعند التأمل في هذا الصنيع نجد خمسة أمور:

١ ـ قوله في الهامش: (في هذا الموضع عبارة حذفت عند الطبع) يدل على أمرين أحدهما تصرف في حق الغير، وثانيهما خلوه من السبب الداعي للحذف.

٢ ـ نصها في المخطوطة يكشف سبب الحذف وهو بشاعتها حيث انتهى الأمر بالغلو في تعظيم المشايخ إلى هذا الاعتقاد عند بعض العامة، وهذه ثمرة خلع صفات الربوبية على مشايخ الصوفية، ولكن لم تذكر الحكاية كيف اطلع على سؤال الملكين للميت وهذه المحاورة في القبر.

---

(١) كلام أحمد بن عمر بن سميط من المطبوعة ص ٣٣٧

(٢) المخطوطة ص ١٦٤.

٣ ـ لو لم نعثر على مخطوطة الكتاب فإن أصل القصة موجود في أمهات مصادر صوفية حضرموت كالجوهر الشفاف والمشرع الروي، فلا يفيد حذفها شيئا.(١)

٤ ـ في السلسلة القدوسية إشارة إلى هذه القصة وتشبُّه بها، قال السقاف: أتى الملكان عبد الباقي بن سلطان فقالا: من ربك؟ فقال: شيخي عبد الرحمن – يعني السقاف – فقبلا ذلك منه كما قبلا مثله من الساني كرامة له!.(٢)

٥ ـ حذف هذه العبارة أعني قول العامي أن ربه شيخه فلان مع ترك عقيدة الضمان بالجنة تناقض، فإن كليهما من مقالات الغلاة، فكيف تقر الضمانة بالجنة دون الأخرى؟

النص الثاني: بين عمر بامخرمة وشيخه باهرمز

ورد في مخطوطة (كتاب منحة الإله) قوله عند ذكر شيخ المؤلف الرابع قصة عمر بامخرمة حين أراد أن يتحكم للشيخ باهرمز ونص المحذوف هو: (فاشترط عليه ثلاثة أمور:

ـ **الأول**: أن تذهب إلى جبل قمران ـ جبل معروف لديهم هناك ـ وترمي بنفسك من أعلاه، فأخذها بقوة ورمى نفسه من أعلى الجبل! فلما عاد إليه قال له:

(١) الجوهر الشفاف الحكاية الثانية والأربعون بعد المائة ـ المشرع الروي ٢ / ١٨٨.
(٢) السلسلة القدوسية ١ / ٣٠٧.

رميت بنفسك وأنت مغمض عينيك أو فاتحها؟ قال بل مغمِّضُها، قال ارجع وارم بنفسك ثانيا وأنت فاتحهما، فرجع فامتثل أمره ولم يكن به باس.

. **الثاني**: إذا أقمت الصلاة وتوجه الناس إلى القبلة فتوجه أنت على المشرق، ففعل ذلك، فتحولت له الكعبة إلى المشرق! فالناس يصلون على الظن، وهو يصلي على اليقين منها!

. **الثالث**: أن تذهب إلى عدن، فإذا خرج السيد أبو بكر العدني بن عبد الله العيدروس في موكبه العظيم، وخدمه وحشمه فاغمزه في أذنه وقال له: إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا، فأجابه سيدنا العدني بقوله: خرقنا الأرض وبلغنا الجبال طولا! وأشار بإصبعه إليه قائلا له: لك الحرقة، قال الشيخ عمر في الدنيا، وتلقى الشيخ الأخضر إصبع العدني فانخزقت راحته!).[1]

النص الثالث: الصوفي الذي يرى من العرش إلى الفرش

حذف قول المؤلف عند ذكر شيخه الثامن: (ومما أخبرني أيضا ـ رحمة الله عليه ـ أن السيد أحمد بن هادي بن أحمد بن الشيخ أبو بكر بن سالم أخبره أن السيدين الجليلين الحبيب علي بن محمد الحبشي والحبيب علي بن سالم الأدعج ابن الشيخ أبي بكر بن سالم دخلا قبة سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم يزوران فإذا هما بالسيد المجذوب عبد الله بن عمر بن حسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم دخل وقال لهما:

(١) المخطوطة ص ٥٤، وموضعها من المطبوعة ص ١٤٥.

أنتم إيش معكم؟ هل يعرف أحد منكم طريق السماء، فلم يردا عليه بكلمة، فقال: أنا لي سبعين ناظورا كل ناظور يرى من العرش إلى الفرش، فعندما سمعا هذا القول منه قاما من الحضرة قبل أن يرتب الفاتحة.

فلما بعدا منه نادى الحبيب علي بن سالم فقال له: تريد أن أعرفك طريق السماء؟ قال نعم، فقال موعدك الليلة بعد المغرب إلى ساحة الشيخ أبي بكر بالحوطة، فلما اتفقا بها قال اركب على ظهري فركب، فلما استوى طار به إلى أن غاب عن الأعين، فلما بعد به في الهوى توسل الحبيب علي بسلفه بالرجوع فلم يزل في الطيران حتى توسل بشيخه القطب أبي بكر بن عبد الله العطاس فوقف عند ذلك، ولم يزل ينزل قليلا قليلا حتى وصل به إلى الأرض فقال: فزعت يا علي؟ لما علوت حضر السلف بأجمعهم والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يتفرجون عليك حتى وصلني السيد أبو بكر بن عبد الله العطاس وقبض بلحيتي وقال: بالله عليك وبالمصطفى صلى الله عليه وسلم أن ترده إلى مكانه من الأرض، فاستحيت منه فرددتك أو كما قال).[١]

النص الرابع: مجئ النبي صلى الله عليه وسلم مع الشريف العاصي

حذف قول المؤلف عند ذكر الشريف الذي أنكر عليه الصوفي: (فما مضت عليه ليالي إلا وهو وجدّه صلى الله عليه وسلم معا عند ذلك الرجل).

(١) المخطوطة ص ٧٩، وموضعها من المطبوعة ص ١٨٠.

ونص الحكاية في المطبوعة: (وأخبرني أيضا رحمه الله تعالى أن رجلا من الصالحين بمصر يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وعنده أربعون رجلا من فقرائه كل منهم مكاشف، فسمع الرجل بشريف علوي تائه في لهو ولعب على القنبوس، فدخل عليه وضربه ضربتين أوعده بالضرب أيضا إن عاد لمثله، محبة في أولاده صلى الله عليه وسلم، وغيرة على ذلك الشريف لعله ينزجر ويرتدع عما هو فيه، فانقطع عنه النبي صلى الله عليه وسلم مدة ولم يره فتعجب من ذلك ولم يعلم السبب ذلك حتى جمع أصحابه الفقراء المكاشفين فأخبرهم وقالوا: لعله لما وقعت منك الجناية على ابنه احتجب عنك، ولم يزل كذلك حتى رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وأراد تقبيل يده فأبى وقال له صلى الله عليه وسلم: معي لك مسألة فقهية أتفتيني فيها؟ قال: إن شاء الله أفعل، قال: الولد العاق يرث من أبيه أم لا؟ قال له: نعم، فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك وعرف الرجل وتحقق أن الجناية التي وقعت منه في الملأ على ابنه هي التي حجبته عن رؤياه النبي صلى الله عليه وسلم، فتوجه هو وأصحابه معترفا إلى عند الشريف العلوي فوجدوه على الحالة التي يكرهونها، فأراد الرجل تقبيل يد الشريف فأبى على يده إلا أن يخبره بالسبب، فقال: مد يدك لأصافحك وأنت على ما فيك، فلما أخبره بالسبب وما جرى له مع جده صلى الله عليه وسلم بكى الشريف وقال: جدي غار علي وأنا في حالتي هذه، فكيف

لو كنت مستقيما، فتاب من ذنبه توبة صحيحة موصلة إلى الله تعالى، فما مضت عليه ليالي إلا وهو عند ذلك الرجل الصالح).[١]

النص الخامس: صوفي يقّبل امرأة أجنبية

حُذف قول المؤلف عند ذكر شيخه الثامن أيضا: (وأخبرني أيضا في ٢٢ ذي القعدة سنة ١٤١٨ هـ أنه خرج هو والسادة الأشراف محمد بن عبد الرحمن ومحمد بن عثمان بن عبد الله وعمر وشيخ وأحمد بني محمد بن عبد الله بن يحي إلى متعبد سيدنا الحبيب طاهر بن حسين الكائن بخشم بن صبرة بالجبل الواقع شرقي مسيلة آل شيخ فدخل عليهم رجل غريب عليه أثر السفر، وله معرفة بالحبيب أبي بكر المذكور سابقا، وله حسن ظن به، فدعا السيد أبو بكر امرأة من أخدام المكان تأتي بآلة القهوة ليطبخوها هناك، فلما رأى الرجل الغريب المرأة مقبلة قام إليها وقبّلها ورجع إليهم، قال الحبيب أبو بكر فأساء الحاضرون به الظن، وأنكروا فعله، وتكلموا عليه، ثم جلس الرجل الغريب واحتبى وقال لي: ماذا يقولون عليّ؟ فقلت ما يقولون شيئا، فأخرج عينين حمراوين كالجمرتين وقال بلى تكلموا، فلما ألح عليّ في الخطاب أخبرته بما قالوه، فقال: ما سِرت وقبّلت تلك المرأة إلا وقد رأيتها في اللوح المحفوظ أنها تتزوج برجل شريف، ففرحت لها بذلك، وبشرتها به!!

---

(١) المخطوطة ص ٨٠ - ٨١، موضعها من المطبوعة ص ١٨١.

ثم حلف وقال: والله المعبود إن الله تعالى أقدرني أن أصل الشرق بالغرب والغرب بالشرق!! فتحرك الجبل الذي نحن تحته عقب حلفه، وخرجت منه نحو أربعين حصاة وبعضها وصل إلى قربهم، وعند ذلك فزع من حضر، ثم أخبر بأن الذين أنكروا عليه يموتون ولا يعقبون إلا السيد أحمد بن محمد فإنه اعتذر إليه، وقبل عذره، والمرأة المذكورة تزوجت بعد مدة يسيرة بأحد السادة كما قال رضي الله عن الجميع ونسأل الله أن يحفظنا جميعا من الاعتراض والانتقاد وسوء الاعتقاد).[١]

النص السادس: صوفي له قدرات خارقة

حُذف قول المؤلف عند ذكر شيخه الثامن وذكر قصة المجذوب الذي يتعاطى التنباك وأنكر عليه الخادم (ثم قال: والله لولا حجاب هذا من جبل لرميته وراء جبل قاف، ثم قال للخادم اتبع حبيبك والله فيه، ولا تعد لمثل هذا جبرا لترويعه إياه، أو كما قال).[٢]

وأصل القصة الواردة في المطبوع: (وأخبرني أنه اجتمع في عدن برجل مجذوب في بيت أحد المحبين اسمه محبوب، قال: ومعي الخادم سعيد عبيد فرحان فقام المجذوب يصلي في البيت، وفي قبلته إناء فيه قاز، فقال للخادم: أبعده من هذا المحل، قال له الخادم: ما هو بأخبث من التنباك الذي تتعاطاه، فعند ذلك تغير وجهه، وصار يهدر كالجمل العظيم، وخفت أن يبطش بالخادم، وخففت

(١) المخطوطة ص ٨٠ ـ ٨١، موضعها من المطبوعة ص ١٨١.
(٢) المخطوطة ص ٨٢، وموضعها من المطبوعة ١٨٢.

الصلاة، وصرت أدعو الله، وأتوسل بالسلف أن لا يضر الخادم، فجاء رب المنزل فوجد الرجل على حاله، فطلب منه المجذوب أن يتنفس في الدار فلم يأذن، ثم طلبه أن يأتي بلفظ الجلالة ثلاث مرات فأذن له، فأتى بها بصوت جهوري انزعج منه الدار، وتساقط بعض أوعيته من الجدران، وقال لو أتيت بالرابعة لانهدم الدار كله).

النص السابع: صوفي يقبّل بنات المسلمين وبنات النصارى

حُذف قول المؤلف عند ذكر شيخه الثامن أيضا: (ومما سمعته منه رضي الله عنه أن الحبيب شيخ بن أحمد بافقيه المتوفى بسورابايا كان إذا قبّل بنتا من بنات النصارى، أو بنات المسلمين يقبّلها ولا ينكر عليه أحد أبدا، وبعد موته رضي الله عنه وجدوا أنه ما من بنت من بنات النصارى قبّلها إلا ودخلت دين الإسلام، ولا بنت من بنات المسلمين قبّلها إلا واحتجبت عن الخروج إلى الناس والبروز إليهم، قال وذات يوم أنكر عليه الحبيب عبد القادر بن أحمد بن طاهر هذا فرأى جده الحبيب طاهر يعاتبه ويقول أنت ممن ينكر على هذا الولد، الآن سر إلى بيته واطلب منه العفو، فلما وصل إلى عنده إلى الدار كاشفه الحبيب شيخ، وقال له: وصل إليك الرجّال، قال نعم فاعتذر إليه وقبل عذره).[١]

(١) المخطوطة ص ٨٢، وموضعها من المطبوعة ١٨٢.

النص الثامن: تصرف بعد الموت

حُذف قول المؤلف عند ذكر شيخه الثامن فيما يذكر أن لوالده خوارق في حياته وبعد مماته فمن ذلك أنه لما قرب إلى حالة الاحتضار من حديثه لزوجته: (وقال لها يوما أعطيني الصدق، أتحبين أن تتزوجي من بعدي؟ قالت: لا، فقال: لا بد أن يخطبك أحد وتجيبينه إلى ذلك، وأما أنا سأنتقل من هذه الدار إلى الدار الأخرى وسترين صحة كلامي هذا لك فيما بعد، قالت له: لا تزوج بعدك، قال: سيخطبك أحد من بعدي، وترضين به، وأنا إذا خطبت سأطلع من البرزخ! إلى بيتي وأعبر إلى المطبخ، وأطلع بمحواش التنور، وأدخل عليك إلى المحضرة، وأركز المحواش فيها.

وبعد وفاة الحبيب بنحو ست سنين خطبها الحبيب عبد القادر بن أحمد بن طاهر بن حسين فأجابت إلى ذلك، فلما أضحى النهار طلع الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله في ثيابه التي يعتادها إلى بيته، وعبر على المطبخ وحمل المحواش منه، ودخل المحضرة عند مخلفته المذكورة، وعندها ابنها أبو بكر راوي هذه الحكاية يلعب في حال الصغر، وركز المحواش عند الباب، وقال لها: إن كفتك هذه العلامة وإلا قعدنا عند الباب ليلة الحراوة ومنعناهم من الدخول، فحصل لها عند ذلك الرعب الشديد والخوف العظيم.

وخرج الحبيب عبد الرحمن وعارض ابنه علوي في الرقاد فقام محله ولم يقدر على الكلام ولا المسير، وجاء بعده الحبيب علوي بن عبد الله ليكلم المرأة عن شأن الزواج فوجدها فزعة مرعوبة، وأخبرته بما جرى وبما كان من زوجها سابقا ولاحقا وبما سبق لها من العهد القديم الذي نسيته، وكان ذلك عذرا لها عن التزوج بالحبيب عبد القادر المذكور رضي الله عن الجميع).[١]

النص التاسع: صوفي يتعاطى التنباك

حُذف قول المؤلف عند ذكر شيخه الثالث والثلاثين: (ومما سمعته منه أن الحبيب شيخ بن عباد بن علي بن أحمد بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم كان ممن يتعاطى التنباك فلما أتى عمد وقصد عند الحبيب العارف بالله تعالى صالح بن عبد الله العطاس ترك الرشبة المعروفة في خرْج دابته، فلما رأى الحبيب شيخ في المنزل الجمرة الزينة وأعجبته، وصار متحيرا وبوده أن يقوم ويأخذها ويستعمل الدخان لولا الحياء من الحبيب صالح، ففطن له الحبيب وقال له لعلك تريد الذي في الخرج؟ قال نعم، قال له هاتها ونحن نأتي لك بالتنباك من أي عينة شئت، وباشر الحبيب ذلك بنفسه! ثم أمره بزيارة أحد من الصالحين، وألزمه أن يستصحب معه الرشبة على عادته.

فلما كان بالطريق اعترضه بدوي وساومه في الرشبة حتى بلغه في ثمنها إلى ريال فباعها واستلم الثمن، فأخذها منه البدوي وكسرها وهو ينظر إليها، ولما رجع إلى

(١) المخطوطة ص ٨٣ ـ ٨٤، وموضعها من المطبوعة ١٨٣.

الحبيب صالح قال له كشفا منه: ما فعل البدوي معك؟ قال: أنت أعلم به، فما أعمل الآن؟ قال: إذا كان ولا بد أما الدخان وأما انتشاقه فلا بأس.

ولعل ذلك والعلم عند الله أن مع الحبيب أسرار وأنوار غلبت عليه يريد التستر بفعل هذا لأنه ذو كرامات خارقة.

ومما سمعته منه أيضا مما يناسب هذه الحكاية أنه أتى إلى الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر بأحد من السادة آل باعلوي به جذب، فما نظر إليه قال لهم: هاتوا له القنبوس، وقنبسوا عنده لعله يرجع إلى حاله الأصلي).(١)

النص العاشر: جريدتان تدلان على السحر

حذف قول المؤلف عند ذكر شيخه الثامن والسبعين حكاية عن عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه: (قال سيدي ثم رحل إلى مكة المكرمة فلما كان يوم التاسع من ذي الحجة والناس واقفون بعرفات ولم تشتعل لهم نار في ذلك اليوم فتحيروا في الأمر وأخبر الشريف والي مكة بذلك ثم أشير عليهم بالذهاب إلى الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه وأن يتوجهوا إليه في حلّ هذه المشكلة فاعتذر أولا ثم لما ألحوا عليه أمرهم أن يأتوا بجريدتين من النخل فكتب عليهما وأمر أن يتبعوهما فحيث وقفتا يجدون من أرصد النار هناك فحضر رجلان على خيلين وتبعا الجريدتين حتى وقفتا تحت بيت من بيوت مكة فهجما عليه ووجدا أربابه في عمل السحر وبمجرد أخذ ما لديهما

(١) المخطوطة ص ١٠٠، وموضعها من المطبوعة ٢٤٦.

اشتعلت النار بعرفات قال سيدي سمعت هذه الحكاية من الحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه وسمعتها أيضا من الحبيب أحمد بن حسن العطاس رضي الله عن الجميع).[١]

النص الحادي عشر: إجازة غريبة

حذف قول المؤلف عند ذكر شيخه الخامس والثمانين: (وأجازني أيضا لكل حمى تكتب هذه العزيمة ويعلقها المحموم عليه وهي (جهنم غضبانه، جهنم ظمانه، جهنم جيعانه، جهنم عريانه) ثم يكتب الحمى إحدى عشرة مرة وهي منسوبة إلى سيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم).[٢]

النص الثاني عشر: حكاية عجيبة

حذف قول المؤلف عند ذكر شيخه الخامس والثمانين: (ومما يذكره عن الحبيب جعفر المذكور أيضا أنه كان يذهب كل سنة إلى مسافة بعيدة عند أحد الهنود المعتقدين فيه، ويعطيه كل مرة ثلاثمائة ريال، وفي بعض السنين قال له الهندي: مرادي منك يا حبيب جعفر حرز حصين ليكثر الله لي المال، فإني أخاف هذه السنة أن لا تأتي حوائجي وأفتضح بين الناس، وأنا رجل عزيز، فكتب له في الحرز من نحو قوله: اللهم أفقر هذا الرجل وأهله وعياله إلى سابع ولد وأهل ماله، ومثل ذلك مما هو ضد ما يريده الرجل، وطوى ذلك الحرز، فلما ناوله الهندي أتى بقطعة

(١) المخطوطة ص ١٢٦ . موضعها من المخطوطة ص ٣٤٣.

(٢) المخطوطة ص ١٣٩ . موضعها من المطبوعة ص ٣٧٣.

من حرير واستلمه بنيته الصالحة، وقصده الحسن من يد السيد جعفر، وجعله في تلك القطعة من الحرير، وطوى على ذلك حريرا آخر من غير أن تمس الحرز يده، ثم وضعه في إناء من فضة على عادة تلك الجهة، كل ذلك إجلال وتعظيم وحسن اعتقاده، وعند عود الحبيب جعفر إلى بلده أعطاه الهندي ما يعتاده وزاده خمسين ريالا وقال له إذا لم تكن لكم حاجة بالمجيء إلى هذه البلد إلا لأجلنا فنحن نرسل لكم إلى محلكم ما تعتادونه منا ولا تتعذبون لذلك.

ولما مضت السنة توجه الحبيب جعفر على عادته إليه ليعلم بحال صاحبه فوجد أمواله قد نمت نموا كثيرا، وتضاعفت وصار رأس ماله نحو ثلاثمائة ألف بعد أن كان أقل من مائة وخمسين ألف فتعجب الحبيب جعفر وأراد أن يكشف على ما كتبه في الحرز، وخاف أن ينظر الهندي ما فيه ويتغير اعتقاده لما فيه من الدعاء عليه بالفقر والهلاك، فتلطف بالهندي وقال له: ما فعلت بالحرز؟ قال هو في مكانه محفوظ، قال هاته، فلما أتى به إذا هو كهيئته يوم وضعه غير أنه انقلب لفظ أفقر هذا الرجل بأغنى هذا الرجل، ولفظ اهلك ماله بلفظ احفظ ماله، وهكذا فعند ذلك طوى الحرز وجعله على حاله، وأرجع كل شيء إلى محله، ثم توجه من عنده بالجائزة الوافرة).[١]

(١) المخطوطة ص ١٥٣، موضعها من المطبوعة ص ٣٨٧ .

والعجيب في هذا النص أنه بقيت في النسخة المطبوعة عبارة تشير إلى هذه الحكاية ظلت هذه العبارة مبتورة عن سياقها وهي قوله: (قال سيدي: وهذا من باب حسن الظن والنية الصالحة أو كما قال وأستغفر الله).

النص الثالث عشر: ما يذهب الحمى

حذف قول المؤلف عند ذكر شيخه الثامن والتسعين: (وأجازني في كتابة هذه الكلمات الثلاث كل كلمة في ورقة صغيرة وهي: يزول الزوال يا عيدروس، ثم يبخر المحموم بها واحدة بعد واحدة فإنه يشفى بإذن الله تعالى.

وأجازني أيضا في الحمى الدائمة في كتابة فرعون هامان شداد كل كلمة في ورقة ثم يبخر المحموم كل يوم بواحدة عند اشتداد الحمى.

وأجازني أيضا لحمى الربع التي تسميها العامة حمى الثلث، أن يكتب في الرجلين بسم الله خري بسم الله فري بسم الله مري بمداد أسود).[١]

النص الرابع عشر: حرز للمعقود

قال المؤلف عند ذكر شيخه الرابع عشر بعد المائة: (وهذه صورة الحرز والعزائم المشار إليها في الرسالة المذكورة منقولة من خط المجيز نفع الله به قال: (حرز للمعقود) تكتب الفاتحة ثلاث مرات والإخلاص ثلاثا، ثم تكتب: (حللت ذكَر

(١) المخطوطة ص ١٦٨، موضعها من المطبوعة ص ٤٢٥.

فلان بن فلانة عن فرج فلانة بنت فلانة من كل عقدة في حرير، ومن كل عقدة في رصاص، ومن كل عقدة في نحاس، ومن كل عقد في حجر، ومن كل عقد في محلول، ومن كل عقدة في معقود، ومن كل عقد في مطوي، ومن كل عقد في عجين، ومن كل عقدة في مسبحة، ومن عقدة في سبيكة، ومن كل عقدة في بول، ومن كل عقدة في خيط، ومن كل عقدة في ذهب، ومن كل عقدة في فضة، ومن كل عقدة في قرطاس، ومن كل عقدة في شجرة، ومن كل عقدة في وسادة، ومن كل عقدة عقدت بأي نوع) إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز،) ويكتب أيضا للمعقود على ثلاث بيضات دجاج مقشورات بعد سلقهن، يكتب على الأولى (قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) وعلى الثانية (أَوَلَمْ يرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) وعلى الثالثة (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) ويأخذهن المعقود واحدة بعد واحدة على الريق، ويكتب على فخذه الأيمن بعد أن يغتسل ويتوضأ (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) ويكتب على ظهره (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا، وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا).[١]

---

(١) المخطوطة ص ١٨٦ . موضعها من المطبوعة ٤٧٥.

وماذا نقول لهؤلاء الصوفية في تعاملهم مع النصوص القرآنية بهذه الطريقة؟

النص الخامس عشر: ضيافة لوضع التابوت

قوله عند ذكر شيخه الثامن عشر بعد المائة: (وهو الذي عمل التابوت لضريح جده العيدروس الأكبر بتريم ووضعه عليه وعمل يوم وضعه على الضريح ضيافة لأفاضل تريم رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاته).[١]

نهاية المبحث

انتهى ما أردنا إيراده من حذف النصوص وبترها، وبهذا الإيراد نستطيع الوقوف على السبب، وبعض هذه الحكايات المحذوفة مثبوتة في مصادر أخرى مثل تذكير الناس والنهر المورود.

فتلك النماذج من مفاهيم مدرسة حضرموت الصوفية أصلها واحد وفروعها كثيرة، فأما الأصل الذي يجمعها فإنه التسليم لشيوخ الصوفية ولو خالفوا الشرع فصلّوا إلى خلاف القبلة أو تعاطوا التنباك أو قبّلوا النساء الأجنبيات وبنات النصارى، أو استغاثوا بغير الله عز وجل أو سمعوا آلات اللهو كالقنبوس إلى آخره، وأما فروعها ففيها من الدعاوى العريضة كالمعراج الصوفي ومعرفة طرق السماء والنظر إلى اللوح المحفوظ وادعاء علم الغيب وخصائص الربوبية والتستر بفعل المخالفات، والشعوذة والحروز وكتابة فرعون وهامان وشداد والزوال باسم العيدروس وقوله (بسم الله خري بسم الله فري بسم الله مري)، إلى آخر ما سبق ذكره آنفا، مما يرده النقل والعقل وتأباه الفطرة السليمة، وننتقل إلى المبحث الثاني.

---

(١) المخطوطة ص ١٨٨ . موضعها من المطبوعة ص ٤٨٣ .

المبحث الثاني

وقفة مع تأويل النصوص

الكلام الباطل المخالف للشرع سبيله الرد على قائله من غير أن نبحث له عن تأويلات أو تعليلات، كما أن الكلام إذا كان متفقا مع قواعد الصوفية فإنه صريح لا يحتاج إلى تأويل، وإذا عرفت أصول التصوف فما على الناظر إلا رد الفروع إليها، ولا يجوز تأويلها لأن ذلك يخرجها عن سياقها، وإلا كان مراد المتكلم في واد والمؤول له في واد آخر، فحين نجد نصا من نصوص الصوفية أراد قائله تصوير المنزلة التي نزلها والغاية التي جاهد نفسه للوصول إليها فيأتي مؤول لها فينزهه عن ذلك فقد وقع المؤول في الغلط والشطط، وأسوأ من ذلك أن يستدل لهذا التأويل الفاسد من نصوص الكتاب والسنة أو كلام الأئمة المعتبرين فإنه حينئذ يأتي بكلام تضحك منه الثكلى.

وكان يغني عن التأويل الفاسد أن يرد الباطل، والعمل في هذا المبحث على ثلاث درجات: أولها: ذكر النص الصوفي، وثانيها: ذكر التأويل، وثالثها: مناقشة التعليق والرد عليه.

النص الأول: صوفي يوصف بأنه حي لا يموت

ورد في كتاب عقد اليواقيت الجوهرية من مكاتبة عبدالله بن علي باحسين السقاف لزين العابدين بن محمد المصطفى العيدروس قوله: (إن سيدي محمدا المقدم

وسيدي السقاف وسيدي المحضار وسيدي العيدروس وسيدي أبا بكر ـ بن عبد الله ـ العيدروس قدس الله أرواحهم في المقام المحمدي سواء بعضهم ببعض) إلى أن قال فيها (فاجعل وجهتك إلى جدك الشيخ عبد الله بن أبي بكر واقصده في كل نفس، فإنه حي لا يموت وبعده اقصد عمه وأباه وجده ثم الفقيه المقدم).(١)

تأويله عند المعلق: (في هذه العبارة كلمات مشكلة جدا، وظاهر ألفاظها مستشنعة والله أعلم بمراد قائلها، وقوله (فإنه حي لا يموت) مخالف ظاهر لقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ومما لا شك فيه أن للميت حياة برزخية تختلف عن حياته الدنيوية، ونعيم البرزخ وعذابه من معتقدات أهل السنة والجماعة فلعل معنى الكلام: إن روح الميت لا تفنى بل هي حية في برزخها، والله أعلم).

قلت: وهذا تخليط عجيب، فعبارة (فإنه حي لا يموت) باطلة يجب ردها ـ وكذلك قوله: (فاقصده في كل نفس) ـ وهي واضحة ليس فيها إشكال، ولا يجوز لنا تفويض علم باطنها وردّ ظاهرها، فإن هذا باب إذا فتح دخلت الباطنية منه وصححت عقائدها الزائغة، وأعجب من استشكالها واستبشاع ظاهرها تأويل العبارة بأن روح الميت لا تفنى بل هي حية في برزخها.

والكلام على هذا التأويل في أمور:

(١) عقد اليواقيت الجوهرية ١ / ٣٠٢.

١ ـ ذكر المقام المحمدي في أول النص يكشف المراد من الكلام برمته، وهو مقام يعده الصوفية الأصل الذي يأخذ عنه الأنبياء والمنبع الذي تفرع عنه الكون ومصدر الموجودات، ووحدة الوجود هو أصل هذه العبارة، قال ابن الفارض:

وإني وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

٢ ـ القول بأن ظاهر هذه الكلمة مستبشع دون باطنها مسلك غير سليم.

٣ ـ إذا كان فهمه صحيح للمعنى الباطن وأن روح الميت لا تفنى في برزخها فلا مزية لهذا الصوفي في ما ذكر، فكيف يوصيه بزيارة جده وهو يستوي مع غيره وكيف يوصيه بأن يقصده في كل نفس إذا كانت جميع الأرواح حية في برزخها.

٤ ـ لو نظرنا إلى هذه العبارة في إطار قواعد الصوفية لما احتجنا إلى تأويلها، بل تتفق ما يوردونه من تصرف أقطابهم بعد الموت كما في البرقة المشيقة بقوله: (وكان الشيخ الفقيه محمد بن علي من المتمكنين في التصريف بعد موتهم قال المشائخ العارفون: ما صلينا جنازة إلا والفقيه محمد بن علي بعد موته يصلي معنا).[١]

وفي ذخيرة المعاد نقلا عن الشيخ عبد الله بن علوي الحداد: (إن الولي يكون اعتناؤه بقرابته واللائذين به بعد موته أقوى من اعتنائه بهم في حياته لأنه في حياته مشغول بالتكاليف وبعد موته طرح عنه الأعباء وتجرد).[٢]

(١) البرقة المشيقة ص ١٠٤.

(٢) ص ١٦٠ وفيه تصرف الأولياء بالسلب ونحوه بعد مماتهم إذ الأولياء أحياء في قبورهم.

النص الثاني: المعراج إلى السماء

ورد في كتاب عقد اليواقيت عند ذكر الفقيه المقدم ورسائله إلى سعد الدين الظفاري نزيل الشحر: (ومن جملة ما كتبه إليه أنه قال: عرج بي إلى سدرة المنتهى سبع مرات، وفي رواية سبعا وعشرين مرة في ليلة واحدة، وفي رواية سبعين مرة).[١]

وتأويله عند الدكتور باذيب ما نصه: (العروج إلى السموات لم يحدث لبشر إلا لسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، ومن رُفع من الأنبياء إلى السماء كإدريس والمسيح عيسى عليهما السلام، أما غيرهم من البشر فليس لهم ذلك، ولعل المراد هنا رؤيا منامية أو حالة روحية خاصة كما يعبر عنها الصوفية بالكشف والمشاهدة ونحو ذلك والله أعلم).

قلت: هذه ليست رؤيا منامية ولا كشف بل دعوى أنها تصرح بالمعراج إلى السماء والوصول إلى سدرة المنتهى، ويؤكد ذلك ما في الجوهر الشفاف أن الفضل الدمشقي قال للفقيه المقدم في بعض كلامه أنت صاحب نسبة فقال الفقيه المقدم وما هذه النسبة قال سدرة المنتهى، وقد وصفه فضل بن عبد الله فقال: دابة الفقيه تعرف طرق السماء كما تعرف طرق الأرض!![٢]

فذكر الدابة هنا يدحض القول بأنها حالة منامية، ومما يؤكد أن النص جلي ولا يحتاج تأويله بالرؤيا المنامية أمثلة أخرى منها:

(١) عقد اليواقيت الجوهرية ٢ / ١٠٩٧.
(٢) الجوهر الشفاف (مخطوط) الحكاية الثامنة والثلاثون، وانظر شرح العينية ص ١٣٨.

. قال أحمد بن محمد الحبشي: دابتي تعرف طرق السماء.[١]

. قال عبد الله بن علوي الحداد إنه يكون للولي ما يكون للنبي، وإني قد وضع لي المعراج بمسجد الهجيرة وعرج بي إلى السماء حتى وقعت بين يدي الله عز وجل وحصل لي شق الصدر بمسجد بني علوي.[٢]

. إن أحمد بن محمد مجاورا بمكة أيام إقامة صالح بن عبدالله العطاس فساره بما يقع في سلوكه فقال مرة: إني خرجت إلى المسجد الحرام في بعض الليالي وطفت بالكعبة فحصل لي الإسراء إلى السماء.[٣]

. وفي جني القطاف أورد أبو بكر المشهور عند ذكر عمر بن حامد أنه عرج إلى السماء بقوله: (عرجت أنا والحبيب علي بن محمد الحبشي وأخذت أعرج والحبيب علي قدامي القدم بالقدم حتى وصلت إلى مقام الحداد فبعدها معاد شفت الحبيب علي).[٤]

قلت: ومقام الحداد قد سبق ذكره فأين بلغ الحبيب علي؟

النص الثالث: أنا نقطة بسم الله

ورد في كتاب عقد اليواقيت عند ذكر شطحات الصوفية وأنها من باب التحدث بالنعمة: (فمن ذلك قول باب مدينة العلم أصل أهل البيت الأطايب مولانا أمير

(١) الكوكب الدري (مخطوط) ص ٦.
(٢) غاية القد والمراد ص ١٠٢.
(٣) تاج الأعراس ١ / ٣٤٧.
(٤) جني القطاف ص ٧١.

المؤمنين علي بن أبي طالب قال رضي الله عنه: (أنا نقطة بسم الله الرحمن الرحيم، أنا جنب الله الذي فرطتم فيه، وأنا الكرسي، وأنا لقلم، وأنا اللوح المحفوظ، وأنا السموات السبع، والأرضون السبع).(١)

قال الدكتور باذيب معلقا: (لم أقف على تخريج هذا النص).

قلت: هذا النص لن تجده في كتب أهل السنة ولو أمضيت في طلبه حقبا، ولكن لو طلبته من كتب الرافضة ومن تأثر بهم من غلاة المتصوفة لرأيته واضحا أمامك، فقد صرح الرافضة في كتبهم بذلك ففي بحار الأنوار للمجلسي منسوبا لعلي رضي الله عنه: (أنا علم الله أنا القلب الواعي ولسان الله الناطق وعين الله الناظرة وأنا جنب الله ويد الله) وفي رجال الكشي: (أنا وجه الله أنا جنب الله أنا الأول أنا الآخر).(٢)

ومن الصوفية ممن نسبها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفسرها وفق هواهم وأنها من باب الوحدة منهم القيصري في شرح التائية وأبو الهدى الصيادي الرفاعي كما في قلادة الجواهر.

(١) ص ١٤٨.
(٢) زعم الشيعة أن أمير المؤمنين عليًّا – رضي الله عنه – قال: «أَنَا عَيْنُ اللهِ، وَأَنَا يَدُ اللهِ، وَأَنَا جَنْبُ اللهِ، وَأَنَا بَابُ اللهِ» (أصول الكافي ١/ ١٤٥، بحارالأنوار ٢٤/ ١٩٤.

ومن صوفية حضرموت أبو بكر بن سالم كما في معارج الأرواح في موضعين منه ثم قال معلقا (إلى إن صحا وارتفع عنه تجلي الوحدة ورجع إلى عالم البشرية وتجلى له الحق بحكم الكثرة فشرع معتذرا وأقرّ بعبوديته وضعفه وانكساره).(١)

وقد سئل العلامة عبد الله بن عمر بامخرمة في الفتاوى العدنية ـ والسائل الفقيه جمال الدين محمد بن عبد القادر بن أحمد عن ما ورد في شرح التائية للقيصري في قول علي رضي الله عنه أنا نقطة الباء من بسم الله، وأنا السماوات السبع، والأرضين السبع، وأنا العرش، وأنا الكرسي، وأنا جنب الله الذي فرطتم فيه إلى آخر ما ذكره، ما معنى ذلك؟ وهل صح ذلك عن علي رضي الله عنه؟

فأجابه بامخرمة: (إن هذا المروي عن سيدنا علي رضي الله عنه كذب موضوع عليه، وقد كان للشيعة والرافضة فيه غلو عظيم، وعقائد فاسدة رديئة بحيث أنه كان في زمانه طوائف اعتقدوا إلهيته، فلما تحقق ذلك منهم أحرقهم بالنار، وكذلك طوائف اعتقدوا نبوته ورسالته إلى غير ذلك من الأمور الباطلة) ا هـ(٢)

النص الرابع: طواف الكعبة بالصوفي

ورد في كتاب مجموع مواعظ أحمد بن عمر بن سميط: (كان سيّدنا أحمد بن زين الحبشي ـ رضي الله عنه ـ يذاكر في الحج ويحقق، وفي المجلس واحد من آل

(١) معارج الأرواح (مخطوط)
(٢) الفتاوى العدنية (مخطوط).

مشغان، فخطر له كيف يحقق الحبيب أحمد وهو لم يحج؟ فالتفت إليه الحبيب أحمد وقال: لله رجال تطوف بهم الكعبة، وكان سيدنا الحبيب محمد بن سميط جالسا فقال للمشغان: شي خطر ببالك؟ قال: نعم فأخبره بالخاطر).(١)

قال الدكتور معلقا: (هذه المقولة يراد بها المبالغة في تعظيم أهل العلم، وفي الحديث (لهدم الكعبة أهون على الله من قتل...).

قلت: ما هي الدلالة على تعظيم أهل العلم في قول الشيخ الصوفي « لله رجال تطوف بهم الكعبة » إلا إذا كان للكلام خبيئة فمعناه أننا ليس لنا عقول، فالصوفي هنا يتفاخر بأن الكعبة تطوف به، والموؤل في واد آخر مشغول بتعظيم أهل العلم.

وما علاقة طواف الكعبة أو تعظيم أهل العلم بالحديث المذكور الذي لم نجده بهذا اللفظ في شيء من كتب الحديث، والذي في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة بلفظ: (لهدم الكعبة حجرا حجرا أهون من قتل مسلم) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (لم أقف عليه بهذا اللفظ ولكن في معناه ما عند الطبراني في الصغير عن أنس رفعه: (من آذى مسلما بغير حق فكأنما هدم بيت الله...).(٢)

---

(١) مجموع مواعظ أحمد بن عمر بن سميط ص ٤٣٤.

(٢) الذي في صحيح مسلم عن ابن عمر(لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم) وعنه مرفوعا (لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك) ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع.

فلا علاقة باستدلاله إلا ورود كلمة الكعبة في كلام الصوفي والحديث المذكور من غير أي رابط بينهما، وما وجه ذكر تعظيم أهل العلم، فرميته لا تقتل صيدا ولا تنكي عدوا، فأي سكتة فاتته!

ولو تأمل المؤول بعض أسفار الصوفية لعرف المراد، وأن منزلة طواف الكعبة بالصوفي تأتي في سياق الكرامة تارة وتأتي في سياق الفناء تارة أخرى وقد ادّعاها جماعة كما ورد في ديوان أبي بكر بن سالم قوله:

وطاف بي البيت سبعا ولبّت   قلوب الكل لي تحت مرادي

وينسبون إلى الجيلاني - ما تأباه سيرته - ويرددونه نشيدا :

كل قطب يطوف بالبيت سبعا   وأنا البيت طائف بخيامي

وفي الترياق الشاف إن ذلك من الكرامات في قوله: (وآخر أرى بعض المنكرين الكعبة تطوف به، وقد سمعنا سماعا محققا أن جماعة منهم شوهدت الكعبة تطوف بهم طوافا محققا حقيقة).(١)

وقوله: (محققا حقيقة) يرد التأويل المذكور.

ثم رأيت في تحفة الأشراف ما يؤكد كلامي هذا بقوله: (قرئ في الدرس يوما من الأيام عند الحبيب أحمد بن زين الحبشي في باب الحج فقرر وأطنب في التقرير

(١) الترياق الشاف في مناقب الأشراف تأليف عمر بن محمد باشيبان العلوي (مخطوط).

وحث الحاضرين على الحج وأملى لهم من فضائله شيئا كثيرا ترغيبا لهم فيه وكان بعض الحاضرين يقول في نفسه: حبيبك يأمر بالحج ولم يحج كما من يأمر بالصلاة ولم يصل، وكان كذلك لم يحج في الظاهر، فتفرق الناس من المجلس ولم يستطع القيام ذلك الشخص الذي خطر له الخاطر على الحبيب أحمد فقال له الحبيب أحمد قم يا فلان مالك لم تقم مع الناس؟ فقال له: يا حبيب أود القيام ولكني ما أقدر عليه كأن شيئا قابضني فقال له الحبيب أحمد: لعلك قلت شيئا في خاطرك علينا؟ قال: نعم: قلت: حبيبك يأمر بالحج ولم يحج كما من يأمر بالصلاة ولم يصل فقال له الحبيب أحمد: يا هذا لله رجال تطوف بهم الكعبة وأنا منهم وأنت الزم الأدب واحذر من مثل ذلك، وكان الحبيب أحمد هذا أعطي مقام الجيلاني لأنه لما عرض مقام الجيلاني على الحبيب عبد الله الحداد قال أعطوه أحمد بن زين الحبشي وسيدنا عبد القادر ممن تطوف بهم الكعبة كما قال في بعض سيرته:

كل قطب يطوف بالكعبة سبعا وأنا البيت طائف بخيامي).[١]

وفي تحفة الأشراف أيضا: (العلم اللدني ـ كما قال الحبيب أبو بكر العطاس ـ لا نهاية له، ومن أعطي ذلك العلم نال مقاما كبيرا تطوف به الكعبة، ويخاطب النبي صلى الله عليه وسلم يقظة مثل ما قال الحبيب أحمد بن زين الحبشي (لله رجال تطوف بهم الكعبة وأنا منهم).[٢]

---

(١) تحفة الأشراف من كلام محمد بن هادي السقاف ١ / ٥٩ ـ ٦٣.
(٢) المرجع السابق ١ / ٧٥.

فهل بقي بعد هذا البيان محل من الإعراب لتأويل عبارة: (أن هذه المقولة يراد بها المبالغة في تعظيم أهل العلم).

النص الخامس: الضمان بالجنة

ورد في كتاب مجموع مواعظ كلام أحمد بن عمر بن سميط في قصة الساني التي سبق ذكرها قوله: (فأبى أن يعيده إلا بشرط أن يضمن له الجنة).[١]

قال الدكتور معلقا: (من باب حسن الظن في الله، وفي عباد الله والجنة يدخلها كل موحد بإذن الله) انتهى.

قلت: ليس هذا من باب حسن الظن في نقير ولا قطمير، فقد أسرف الصوفية في الكرامات والغلو في المشايخ وتعظيمهم إسرافا كبيرا جعل بعض الناس يظن أنهم يضمنون الجنة ويخرجونهم من النار، ومما ورد في هذه النقطة من أمثلة تؤكد ظاهر النص:

- قول شهاب الدين: من بشرنا بسلامة ولد سالم بن عبد الله والزوار فأنا أضمن له بالجنة.[٢]

- إن العيدروس ضمن لمن كتب الإحياء في أربعين مجلدا بالجنة فكتبها تلميذه باكثير وزاد على ما قاله لكل جزء علاقة على الخريطة فقال: إني زيدت فأراه الجنة عيانا، وقال له: سافر معاد تسعك حضرموت فسار إلى مكة أو كما قال.[٣]

(١) ص ٣٣٦

(٢) تحفة الأحباب من كلام علوي بن عبد الله بن شهاب ص ١٤٦.

(٣) مجموع مواعظ أحمد بن عمر بن سميط ص ٤٦٨. ولم يعلق عليها بإنها من باب حسن الظن.

. النص السادس: شهود خصوصية الولي

ورد في كتاب مجموع ومواعظ أحمد بن عمر بن سميط: (ومعرفة الولي أشد من معرفة الله سبحانه وتعالى، لأن الحق سبحانه مباين في ذاته وصفاته وأفعاله والولي ليس كذلك، لأنه يأكل ويشرب مثلك، فشهوده شأن عظيم، اعرفوهم وانظروهم، عسى الله يمتع بهم، وقد قال بعضهم: ناظري وناظر ناظري في الجنة، أو كما قال نفع الله به، ووفقنا للأدب معه آمين).(١)

قال الدكتور معلقا على قوله: (فشهوده شأن عظيم): (وشاهد هذا الكلام النفيس في القرآن قوله تعالى (وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ) فإذا كان كذلك حال الناس مع الأنبياء والمرسلين، يشهدون فيهم البشريات فقط ولا يشهدون الخصوصيات، فبقي الكفار منهم كفارا، ومن سعد منهم وآمن كان له الحظ العظيم والسعادة الكبرى بالإسلام والإيمان، والأولياء والعلماء والصالحون ورثة الأنبياء عليهم السلام، فيجري لهم مع سائر الناس ما جرى للأنبياء، يبتلون مثلهم، الأمثل فالأمثل) انتهى.

قلت: في هذا الكلام أمور وهي:

. **أولا**: لا نفاسة في هذا الكلام ولا كرامة، فإن غايته الدعوة إلى تعظيم أقطاب الطرق الصوفية.

---

(١) ص ١٧٤.

. ثانيا: مستنده قائم على أن للأولياء خصوصية يجب على الناس أن ينظروا إليها ولا ينظروا إلى بشريتهم التي زالت بعد اكتمال الرياضة الفلسفية الوصول إلى الفناء واتصفوا بالصفات الإلهية كما يزعمون، والله أعلم بما يوعون، وبالتالي إذا نظروا إلى خصوصيتهم حصل التعظيم لهم، فكيف يقال أن هذا من الابتلاء في حقهم مثل الأنبياء.

. ثالثا: أفاض في هذه النقطة الشعراني في الطبقات الكبرى فقال: (ومن أشد حجاب عن معرفة أولياء الله عز وجل شهود المماثلة والمشاكلة وهو حجاب عظيم، وقد حجب الله به أكثر الأولين والآخرين كما قال تعالى حاكيا عن قوم **(وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ) (مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ)** يعني لم تر أحدا يوافقه على ما يدعيه ويأمرنا به ونحو ذلك، ولكن إذا أراد الله عبدا من عباده بولي من أوليائه ليأخذ عنه الأدب ويقتدي به في الأخلاق طوى عنه شهود بشريته، وأشهده وجه الخصوصية فيه فيعتقده بلا شك ويحبه أشد المحبة، وأكثر الناس الذين يصحبون الأولياء لا يشهدون منهم إلا وجه البشرية فلذلك قل نفعهم وعاشوا عمرهم كله معهم ولم ينتفعوا منهم بشيء) ا هـ.[1]

(١) ص ١٧. وفي الطبقات الكبرى أيضا :

. قال أبو العباس المرسي (بأن معرفة الولي أصعب من معرفة الله عز وجل، فإن الله تعالى معروف بكماله وجماله، ومتى تعرف مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب؟) والمقصود في طي شهود البشرية ومعرفة حقيقة الولي هي ما صرح به أبو العباس المرسي بقوله (لو كشف عن حقيقة ولي لعبد لأن أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته) ا هـ، وقال علي محمد وفا (إذا رأى العارف أنه عين معروفه فلا بأس في تعظيم العباد له).

وقد تلقفها عنه بعض صوفية حضرموت كما في كنوز السعادة الأبدية بقوله: (ما يجمعك على الولي إلا حسن الظن، إن شهدت الخصوصية حصلت وإن شهدت البشرية ما حصلت شيئا لما شهد الكفار البشرية في الحبيب صلى الله عليه وسلم حرموا ﴿وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾.[١]

ـ **رابعا**: قد عرفنا الغاية من وراء شهود خصوصية الولي وبقي النظر إلى الولي حيث يحصل بالنظر إليه دخول الجنة، الذي لم يتم التعليق عليه، وهي عبارة قد نسبت لجماعة من صوفية حضرموت:

ـ منهم أبو بكر بن سالم كان يقول: ناظري في الجنة! فقال عبد الرحمن بن شيخ عيديد يقول لمن حضره كما في شرح العينية: انظروا إليّ لأني نظرت الشيخ أبا بكر وناظره في الجنة زاد في (عقد اليواقيت) وناظر ناظري، ورواية النهر المورود: فأنا ضمينه غدا في الجنة وأن يتخلص من ذنوبه غدا كالمولود من بطن أمه ولو كانت ذنوبه تملأ السموات والأرض.[٢]

ـ ومنهم عبد القادر بن عمر بايزيد لصالح بن عبد الله العطاس ت ٩٧٢١ هـ إن الحبيب عبد الله الحداد يقول: ناظري وناظر ناظري في الجنة! فقال صدق الحبيب عبد الله في قوله وأنا أقول كذلك ناظري وناظر ناظري في الجنة.[٣]

(١) ص ٤٧
(٢) شرح العينية ص ٢٦٣ ـ عقد اليواقيت الجوهرية ٨٦٩ ـ النهر المورود (مخطوط).
(٣) تاج الأعراس ١ / ٦٥.

ـ ومنهم علي بن حسن العطاس ت ١١٧٢ هـ قال: ناظري وناظر ناظري في الجنة انظر تاج الأعراس.(١)

ـ ومنهم كما في منحة الإله أبو بكر بن عبد الله العطاس قال: من رآني أو رأى من رآني ـ وهكذا إلى أن انقطع نفسه ـ فأنا ضمين له بالجنة.(٢)

النص السابع: أهل التصريف

ورد في كتاب مجموع ومواعظ أحمد بن عمر بن سميط: (كان سيدنا أبو الدغير من قدماء أئمة تريم جعل عليه بعض الولاة كل يوم حسوك فرس، فإذا جاء السائس دفع له ذلك بعدما ينزه ويطيبه فقيل لم ذلك قال حتى يأتي الثوب منقى فجاء له السايس يوم الجمعة مع انصرافه إلى المسجد وطلبه الطعام فقال له بعد الصلاة فأبى إلا في هذه الساعة فقال له الشيخ أنت تبقى قائما حتى أصلي وأعطيك الطعام فمضى الشيخ إلى المسجد والرجل قائم في الشمس لا يقدر أن يميل كذا وكذا حتى صلى وجاء الشيخ والسايس قائم في محله فقال الرجل فك علي وطعامك لك، وقال سيدي: هذا حالهم يصبرون على الأذى مع أنهم أهل تصريف).(٣)

(١) تاج الأعراس ١ / ٦٦.
(٢) منحة الإله ص ١٥٣.
(٣) ص ٣٠٧.

ورد التأويل عند قوله: (لأنهم أهل تصريف) بما نصه: لأنهم أولياء الله، وأولياء الله لهم كرامة كما في الحديث: (ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعذينه).

قلت: مقام التصريف لا علاقة له بالكرامة الثابتة عند أهل السنة والجماعة، وإنما هي صفة القطب عند الصوفية ويطلق عليه مقام (كن) كما نقل باسودان في ذخيرة المعاد عن الحداد في سياق علامة القطب الغوث الظاهرة الذي يعطى كلمة كن فقال: وهو ما أجاب به سيدي عبد الله بن أبي بكر العلوي وبهذا يتضح معنى قولهم أعطي فلان كلمة كن.

وقال عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس في العرف العاطر (بل المراد أن الإنسان إذا تخلق بأخلاق الله وصل مقام تصريف القدرة وأيضا يسمى مقام كن فيكون كما قال الشريف علوي بن الفقيه المقدم ـ نفع الله بهما ـ لتحققه بهذا المقام أقول للشيء كن فيكون بإذن الله، وكما قال العيدروس عن ربه: افعل ما شئت فقد غفرت لك).

وما أشار إليه منسوبا إلى علوي ابن الفقيه المقدم ورد كاملا في الحكاية الثانية والستين من الجوهر الشفاف، قال الشيخ عبد الله بن محمد باعباد لعلوي بن الفقيه محمد بن علي: أعلمني بما ظهر لك من الكرامات بعد وفاة أبيك، قال: ظهر لي ثلاث خصال: أحيي وأميت بإذن الله تعالى! وأقول للشيء كن فيكون بإذن الله!! وأعرف الشقي من السعيد بإذن الله!

فقال الشيخ عبد الله: وعاد نحن نرجو فيك أكثر من هذا!.[١]

ويرى الصوفية أن الدلالة على التصريف الحديث المشار إليه في كلام الدكتور ففي معارج الأرواح: (فيكون الحق حينئذ سمعه وبصره كما نطق به الحديث فيكون له التصرف في الوجود بما أراد الله تعالى وقد يكون معجلا وقد يكون مؤجلا وهذا أمر موعود به).[٢]

النص الثامن: الاستنجاد بالمقبور

ورد في كتاب منحة الإله: (ومما سمعته منه رضي الله عنه ما يحكيه عن بعض السادة آل العيدروس المعاصرين له: أنه اشترى عبدا بثمن مؤجل، فلما حضر الأجل، وليس تحت يده شيء ذهب إلى صاحبه الذي يعتاد الاقتراض منه ليستقرض منه الثمن فقال له: نحن في هذا الوقت ما نقدر على شيء، فحار السيد في أمره، فلما نام تلك الليلة رأى جده العيدروس الأكبر وشكا عليه حاله فقال له سيدنا العيدروس: اللوم إلا عليكم لا علينا، ما أحد أقبل علينا بهمة ووجهة صادقة ورددناه!، فلما استيقظ خرج إلى التربة وزار ضريح جده المذكور، وشكا عليه الحال، فلما عاد لاقى صاحبه الذي طلب منه القرض فقال له: الدراهم مطروحة، أرسل لها أحدا ـ ابتداء من عنده ـ فأرسل رسوله إليه وقضى البائع الثمن، وبعد مدة وصلت له دراهم فأخذ منها ما اقترضه من صاحبه،

(١) وفي البرقة المشيقة (ص:١٤١) وأنه ممن أذن له في كمال التصريف المطلق بإذن الله.
(٢) معارج الأرواح (مخطوط).

وذهب به إليه ليدفعه فقال له: إلى الآن ولا أعطيتك شيئا ولم أقرضك شيئا بعد ما اعتذرت إليك أولا، فقال له: تذكر فقال: تذكرت وليس عندك شيء، فعند ذلك تحقق أن ذلك إنما هو شخص تصور بصورة الرجل، وأنه كرامة خارقة لجده سيدنا عبد الله العيدروس نفعنا الله به).[١]

قال الدكتور معلقا: قوله (اللوم إلا عليكم) أي ليس اللوم إلا عليكم، وخروجه وزيارته للمقبرة مما اعتاده السلف الصالح، وقد صح عن الإمام أحمد: قبر معروف الترياق المجرب يعني: معروف بن فيروز الكرخي دفين بغداد، فزيارته وأمثاله من الأكابر مجربة لحصول الفرج وزوال الكدر روى ذلك عن الأمام أحمد الحافظ ابن الجوزي بسنده في كتابه مناقب معروف الكرخي مطبوع).

قلت: وفي كلامه ثلاث ملاحظات:

- **الأولى**: ليس خروجه للمقبرة كما يفعله السلف الصالح لتذكر الآخرة وإنما خروجه للاستنجاد بالمقبور وشكاية الحال له وهذا شرك لا مرية فيه.

- **الثانية**: أي كرامة هذه صادرة عن سؤال الأموات ودعاؤهم من دون الله؟

- **الثالثة**: ما صححه عن الإمام أحمد من قوله: (قبر معروف الترياق المجرب) كلام باطل لأمور منها:

(١) ص ٣٥٦.

١ ـ لم ينسب أحد ـ فيما وقفت عليه ـ هذه العبارة للإمام أحمد، فهذه زلة يجب الرجوع عنها والاعتذار عن نسبة ذلك إلى الإمام أحمد.

٢ ـ لم ترد العبارة المذكورة في كتاب مناقب معروف الكرخي لابن الجوزي، فلا يجوز القول بأنها فيه.[١]

٣ ـ الذي ورد عند الخطيب في تاريخ بغداد قال أخبرنا إسماعيل بن أحمد الحيري قال أنبأنا محمد بن الحسين السلمي، قال سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول سمعت أبا علي الصفار يقول سمعت إبراهيم الحربي يقول: إبراهيم الحربي يقول: (قبر معروف الترياق المجرب)، ورواها الذهبي عنه بلا إسناد.[٢]

قال الخطيب: قال لي محمد بن يوسف القطّان النيسابوري: كان أبو عبدالرحمن السُّلمي غير ثقةٍ , وكان يضع للصوفية الأحاديث... وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة ,وفي (حقائق تفسيره) أشياء لا تسوغُ أصلاً, عدَّها بعض الأئمّة من زَنْدَقَة الباطنية) ا هـ قال الحافظ ابن حجر في لسان

(١) قال ابن الجوزي في الباب السابع والعشرين من كتابه مناقب معروف الكرخي ص ٢٠٠ بسنده إلى عبد الرحمن بن محمد الزهري يقول (قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج ويقال إن من قرأ عنده (قل هو الله أحد) وسأل الله تعالى ما يريد قضى الله له حاجته)، وقال ص ٢٠١ بسنده إلى أبي عبد الله بن المحاملي يقول: (أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرج الله همه).

فأما من جهة القائلين فإن عبد الرحمن بن محمد الزهري ثقة فاضل، وابن المحاملي كان صدوقا من أهل القرآن حسن التلاوة جميل الطريقة، وأما من جهة الكلام فمردود على قائله ويرد عليه ما يرد على العبارة أعلاه.

(٢) تاريخ بغداد ١ / ١٢٢ ـ سير أعلام النبلاء ٩ / ٣٤٣.

الميزان (أبو عبد الرحمن بن حسين السلمي النيسابوري شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم تكلموا فيه وليس بعمدة). انتهى[١]

٤ . لو ثبتت هذه العبارة عن إبراهيم الحربي فإنها تعارض النصوص وفهم سلف الأمة فكيف يكون قبر أحد من الأموات ترياقا ودواء؟

ونذكر نقلين عن إمامين من أئمة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه رأى رجلا يجئ إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو، فدعاه فقال: ألا أحدثك بحديث سمعته من أبي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تتخذوا قبري عيدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا علي فإن صلاتكم وتسليمكم تبلغني حيثما كنتم) رواه ابن أبي شيبة ويقويه ما رواه ابن عبد الرزاق في المصنف من طريق سهيل عن الحسن بن علي قال: رأى قوما عند القبر فنهاهم وقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا تتخذوا قبري عيدا).[٢]

. **الرابعة**: ولو ثبتت عن الحربي فإن ما ورد عن صوفية حضرموت لون آخر لا علاقة له بالعبارة البتة فمما ورد شعرا:[٣]

وإن قيل ترياق لبغداد جربا ففي ربع بشار شفا كل معضل

(١) وفي طبقات الصوفية من قول إبراهيمَ بنَ الجَزَرِيِّ.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٢ / ٣٧٥ . مصنف ابن عبد الرزاق في المصنف ص ٦٧٢٦.

(٣)

تريم بها منهم ألوف عديدة بساحة بشار شموس الهدى قل
زيارة كل منهم صح أنها لما شئت من جلب ودفع محصل

مراده أن في تريم في ربع تربة بشار من قبورهم ترياق مجرب، هذا على سبيل الإجمال، وورد تفصيل بعض القبور التي وصفها صاحب كتاب الغرر بأن كل واحد منها ترياق مجرب على النحو التالي:

. أحمد بن عيسى قيل فيه: (وزيارة قبره ترياق مجرب ونجاة من كل عطب وأمن من كل أذى وسبب وأمان من الريب لمن قصده أو أمله أو تعلق به أو أحبه فمن جاءه بنية أو قصده بقوة وهمة أوجب المطلوب وظفر بالمرغوب).

. الفقيه المقدم قيل فيه: (وزيارة قبره ترياق مجرب وشفاء واق من الرب ودواء من كل عطب وبه يستسقى كل من أجدب ويستشفى من كل وجع وعطب).

. قيل فيه: عمر المحضار (وقبره يزار ويتبرك به معروف باستجابة الدعوات وهو ترياق مجرب ومسجده بتريم محترم ومعظم ما حلف فيه حالف يمينا حانثا فيها ومتجرئ إلا عاجلته العقوبة وحلت به المثلات)[١]

وفي أغلى الجواهر ما نصه (إن لسيدي أبي بكر بن سالم الكثيب المشهور بالترياق النافع للقريب والشاسع سيما ذوي العاهات المستحكمة مثل الجذام، وغيره من

---

(١) الغرر (ص:٧٢-١٥٦-١٩٢-١٩٨)..

العاهات المدنفة، والأمراض المزمنة، تضرب للتمرغ فيه أكباد الإبل من مسيرة أشهر، وذلك مشاهد، ولهذا يقال لسيدي الشيخ مولى الكثيب قال بعضهم يمدحه:

وإن بك تعب أو محنه   فاقصد كثيب الجنه

واطلب مرادك منه   تخلص بتوفيق الله).[١]

النص التاسع: الكيمياء الأكبر

ورد في كتاب منحة الإله :(سمعت سيدي وشيخي الإمام القطب أبا بكر بن عبد الله العطاس يحكي أن رجلا من كبار الصالحين مكث أربعين سنة يصوم الهواجر ويقوم الدياجر ويجاهد نفسه في الطاعات، والأعمال المشقات ولم تظهر عليه شارقة ولم تلح عليه لائحة حتى فتر عن ذلك وكسل عما هنالك، فرجع إلى الأمور المعاشية وظن إدراك الفتح في مدة قريبة ثم قيل له لم يكن ذلك إلا بعمل الكيمياء فقصد بهمته العلية أحد الموسومين بذلك من خواص البرية فأخبره بما كان من أمره فقال له: ما مرادك؟ أتريد الكيمياء الأصغر أو الكيمياء الأكبر؟ فقال: الكيمياء الأكبر، قال: مطلوبك عندنا ففرح بذلك فرحا عظيما ثم إن الشيخ استخدمه وجعله مع فقرائه وعين له وظيفة يعملها وأوعده بإنجاز مطلوبه بعد مضي ثلاثة أشهر فلما انقضت قال لشيخه: هيا يا سيدي الموعد، قال له بكره إن شاء الله تعالى، فلما أصبح أتى الشيخ فقال له: اذهب وستلاقي في الطريق رجلا اسأله عن ربه

(١) أغلى الجواهر (ص:١٠٢).

فسيجيبك بلا أدري واسأله عن نبيه واسأله عن معنى الإسلام والإيمان وسيجيبك في كل ذلك بلا أدري فإذا وجدته بهذه الأوصاف فأتني به، فذهب فوجد رجلا تصدق عليه تلك الأوصاف فأتى به إلى شيخه فقال له: ها هو ذا؟ فقال: هل عندنا أحد قال: لا قال: أغلق الأبواب كلها فأغلقها ثم قال: أتحمل السر؟ قال: نعم فنظر الشيخ إلى ذلك الرجل الظالم نفسه الذي لا يعرف ربه ولا رسوله فدمعت عيناه ثم نظر إليه نظرة ثانية فإذا هو يقول: وا ضيعاه وا تقصيراه وا توباه، ثم نظر إلى الثالثة فإذا هو يكاشف الملكوت، فعند ذلك قال الشيخ للرجل الصالح: الآن شفت بالعين؟ قال: نعم قال له: مرادنا تنظر بعينك إلى نفعنا مع هذا الجاهل الظالم فكيف يكون نفعنا معك! فاعترف الرجل وصار ملازما للشيخ إلى أن توفي وصار هو بعد في محله ووظيفته رضي الله عن الجميع). ١

قال الدكتور معلقا عند قوله ـ بعمل الكيمياء ـ (علم الكيمياء المراد هنا إما:

١ ـ **كيمياء السعادة:** وهي تهذيب النفس بتجنب الرذائل وتزكيتها عنها واكتساب الفضائل وتحليتها بها.

٢ ـ **كيمياء العوام:** استبدال المتاع الأخروي الباقي بالحطام الدنيوي الفاني.

٣ ـ **كيمياء الخواص:** تخليص القلب من الكون، (التوقيف في مهمات التعريف) للمناوي ص ٣١٦.

---

(١) ص ١٤٢.

قلت: هذا كلام عام لا يشرح المقصود شرحا وافيا، ومن تأمل الحكاية جيدا عرف المقصود فالكيمياء عند القوم نوعان:

. **الأصغر**: قلب الأعيان ذهبا وهذا تفيده رواية كنوز السعادة الأبدية للحكاية ذاتها ص ٠٧٣ وفيها (رجل مشهور بعلم الكيمياء وباتحصل الذهب والفضة بلا تعب).

. **الأكبر**: قلب الرجل العاصي أو الفاسق أو الكافر بنظرة من الصوفي حتى يصير وليا يكاشف الملكوت.

وتفصيل ذلك أنه يشيع في كرامات الصوفية ادعاء قلب الأعيان ذهبا، قال ابن خلدون عن الكيمياء في مقدمته (١/ ٥٩٦): (وهو علم ينظر في المادّة الّتي يتمّ بها كون الذّهب والفضّة بالصّناعة ويشرح العمل الّذي يوصل إلى ذلك ويطلبون المادّة المستعدّة لذلك حتّى من العضلات الحيوانيّة والأعمال الّتي تخرج بها تلك المادّة من القوّة إلى الفعل فيخرج بذلك جسم طبيعيّ يسمّونه الإكسير، وأنّه يلقى منه على الجسم المعدنيّ المستعدّ لقبول صورة الذّهب أو الفضّة) وكلامهم في الكيمياء ألغاز ورموز.

ويقول أيضا: (وليس كلامهم فيها من منحى الطّبيعيّات إنّما هو من منحى كلامهم في الأمور السّحريّة وسائر الخوارق وما كان من ذلك للحلّاج وغيره).

وبالغوا في كرامات الأقطاب حتى يحيل البول ذهبا إبريزا.

فالكيمياء تغيير جوهر الأشياء، وتحويل المعدن الخسيس إلى ذهب نفيس، واستعار الصوفية هذا المصطلح واستعملوه وزعموا أن إكسير نظرة الصوفي تحيل المعدن الخسيس للعاصي والكافر إلى مراتب الصوفية، فالناس معادن فيرقون الفاسق ذا المعدن الخسيس إلى معدن الذهب.

وشيخ الصوفية ابن عربي فاض في كتابه الفتوحات المكية عن كيمياء السعادة وهي المشابهة لنزول المعرفة والوحي وليس من باب الكسب والتعلم.

النص العاشر: نظرة من الولي تصنع وليا

ورد في كتاب منحة الإله: (سمعته أيضا يقول: إن الحبيب عبد الله باحسين أتى إلى بيته أحد الجنود الظلمة وجعل ينادي من تحت بيته: يا حبيب عبد الله فقال لولده: انظر من ذا؟ فعاد ولده وقال له: هو الجندي فلان فقال له: قل له: أنت إلا عيف ظالم ولا يريدك والدي سر في طريقك، فقال الجندي: قل لوالدك أنا يومنا عيف وظالم جيته وبغيته يزينا ولو أنا زين كماه ما جيت تحت داره ولا طربت عليه ولا قرعت بابه فقل له: تراه مقيم لا يبرح من تحت الدار حتى يفتح، فأخبر الابن والده بما قال الجندي فقال يا ولدي: حقيق تكلم بهذا الكلام؟ قال نعم قل: افتح له الآن ودعه يطلع، فلما وصل إلى الحبيب نظر إليه الحبيب نظرة أوصلته إلى ربه ولم يخرج من داره إلا وهو ولي من أولياء الله تعالى أو كما قال رضي الله عنه).

قال في تأويلها عند قوله ـ نظر إليه الحبيب نظرة: (النظرة أو يراد به عند القوم تقليب البصر أو البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته وقد يراد به التأمل والفحص وقد

يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة وفي البصيرة أكثر عند الخاصة) انتهى من التوقيف ص ٢٠٧.

قلت: هذا كلام لا يفيد المراد من كلام من وصفه في الهامش بأنه ـ عمدة المطلعين ورأس المكاشفين ـ ولا يوضح المقصود من نظر الصوفي إلى أحد الجنود الظلمة، فأوصلته تلك النظرة إلى ربه وصار وليا بلا تعب ولا مشقة ولا رياضة فلسفية.

وكتب صوفية حضرموت طافحة بالشواهد على أثر نظر الصوفي إلى الولي ولو استطردنا لخرجنا عن المقصود وفي معارج الأرواح لأبي بكر بن سالم قوله: (ونظرتنا إليهم ـ المريدين ـ أرفع وأجل من نظرة المتوجه إلينا لأنها الإكسير والكبريت الأحمر والترياق المجرب)، ومثله في قصيدته التائية من الديوان: (ويا بخت من ننظر إليه بنظرة).[١]

ونكتفي بتفسير هذه العبارة بشواهد من كنوز السعادة الأبدية:

ـ (وإذا نظر إليك الولي نظرة كفتك باقي عمرك وإذا دعا لك وأحبك سعدت وسعد الجليس وجليس الجليس وناظره وناظر ناظره وانتفعت به أنت وغيرك والقرب من الولي يبغى أدب وحسن ظن كامل إن شهدت الخصوصية طويت البشرية وتأدبت معه انتفعت به وسعدت به).

ـ كان أبو العباس المرسي يقول: والله إنه ليأتي إلي البدوي الذي يبول على فخذه فأوصله إلى الله بنظرة واحدة.

---

(١) معارج الأرواح (مخطوط) ـ الديوان (مخطوط) أيضا.

ـ إن الحبيب أبا بكر نظر إلى هذا شريم في الأرض فقال والله إني لو شئت أن أرقي هذا الشريم مراتب الرجال لفعلت

ـ ذكروا أن كافرا أسلم على يد الشيخ عمر بامخرمه وصار من أهل المراتب في ساعته بنظر الشيخ عمر.[١]

النص الحادي عشر: الزهد في علم الفقه

ورد في كتاب منحة الإله: (وإن الحبيب علي بن سالم الأدعج ابن الشيخ أبي بكر بن سالم لما اجتمع به ـ أبي بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن طاهر ـ لما اجتمع به وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة يقول له مرحبا بصاحب الخانات ومرة قال له ـ بعد ما عصر أذنه ـ: يكفيك من الفقه ربع العبادات وخل الفقه لآل بافضل).[٢]

ومما ورد في تأويلها بقوله معلقا: (لا يخفى على الفطن أن هذا من باب الملاطفة والمداعبة وليس الكلام على إطلاقه).

قلت: بل الكلام على إطلاقه ولا يوجد ما يقيده بالملاطفة والمداعبة، لأن هذا الأصل له فروع كثيرة، ففي ذلك التزهيد في علم الفقه ـ أو ما يسمونه علم الظاهر ـ ومنه ورد في منحة الإله أيضا ص ١١٩ مما نقله عن عبد الرحمن بن محمد المشهور (وقال لي أيضا في سنة ١٣١٤ هـ: يا ولدي منذ عشرين سنة قال لي المصطفى صلى

---

(١)كنوز السعادة الأبدية ص ١٠٢ ـ ١٤٩ ـ ٢٧٩.

(٢) ص ١٨٠.

الله عليه وسلم: يكفيك يا ولدي من علم الظاهر عليك بعلم الباطن ونحن نقرئ الناس إلا هوكذا ولم أسأله هل قال ذلك في اليقظة أو في المنام)

وقوله (ونحن نقرئ الناس إلا هوكذا) تحتاج شرحا وتعليقا، ولا غرابة في تزهيد الصوفية من علم الفقه فإن الغاية عندهم الوصول إلى حقيقة التوحيد المتمثلة في الفناء وطريقها ليس طريق الفقه.

وفي تحفة الأشراف (قال بعد ما قرأ القارئ عليه من كلام الحبيب أبي بكر بن سالم في معراج الأرواح: لم يأخذوا هذا العلم من باب السلم ولا الإجارة ولا القراض ونحو ذلك إنما أخذوه من قول الله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ تعلموا العلم وعملوا به وصفوا نفوسهم من دسائس النفس من نحو البغض والحسد والكبر وكظموا الغيظ حتى نالوا علما ليس في السطور بل في الصدور من عزيز غفور)[١]

النص الثاني عشر: جلوسكم بين يدي ولي

ورد في كتاب مجموع ومواعظ أحمد بن عمر بن سميط قال عليه الصلاة والسلام: (جلوسكم بين يدي ولي كحلب شاة أو كشج بيضة خير لك من أن تتقطع في العبادة إربا إربا) لكن لمن عرف قدرهم ولا يحصل الاستمداد إلا لمن عرف قدرهم.٢

(١) تحفة الأشراف ص ٤٥.
(٢) ص ١٧٣.

قال الدكتور معلقا عند قوله. (قال عليه الصلاة والسلام): في رؤيا منامية للشيخ الولي الصالح محمد بن حسين البجلي اليمني الشافعي المتوفى سنة ١٢٦ هـ بقرية عواجة فينبغي التنبه لهذا وينظر التذكير المصطفى.

قلت: ورد النص بلفظه المذكور في تحفة الأشراف عن أبي بكر بن عبد الله العطاس أنه يقول أن بعض رجال أهل الغيب رأى النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة وقال يا رسول الله حدثني حديثا لم تكن حدثته أحدا قبلي في حياتك فحدثه بثلاثة أحاديث منها (ومن جلس عند ولي لله حي أو ميت كحلب شاة أو شج بيضة خير له من أن يتقطع في العبادة أربا إربا).(١)

فصرح أنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة وذكره أحمد بن حسن العطاس كما في تذكير الناس عن أبي بكر عبد الله العطاس قال كان السيد أحمد بن علي بحر القديمي يجتمع بالنبي يقظة فقال: يا رسول أريد أن أسمع عنك حديثاً بلا واسطة فقال له النبي أحدثك بثلاثة أحاديث:

. **الأول**: ما زال ريح قهوة البن في فم الإنسان تستغفر له الملائكة.

. **الثاني**: من اتخذ سبحة ليذكر الله بها كتب من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

---

(١) تحفة الأشراف من كلام محمد بن هادي بن حسن السقاف مخطوط ١ / ١١.

وفي تحفة الأشراف أن عبد الرحمن السقاف قال لابنه عمر، يا عمر: قليل من علم الظاهر يكفيك وإن معك همة أو وجهة فاجعلها لقلبك صفه من الرذائل والخبائث فإذا فعلت ذلك أعطاك الله العلم الظاهر والباطن معا فرجع سيدنا عمر عما نواه) ٧٩

. **الثالث**: من وقف بين يدي ولي حي أو ميت فكأنما عبد الله في زوايا الأرض حتى تقطع إرباً إرباً.[(١)]

وفي حلاوة القرطاس أنا أبا بكر بن عبد الله أخذه عن شيخه عبد الله بن أحمد باسودان، وهذا كله مردود على قائله فلا يصح القول بالاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثالث

وقفة مع ما لا يسع السكوت عليها

لا يصح إيراد نصوص واضحة البطلان تتنافى مع العقيدة الصحيحة وتركها سائمة من غير تقييد وتعليق ورد، إذ أن من الواجب رد الباطل نصحا لله وللأمة، وهذا النوع كثيرة أمثلته، ولو أطلنا المقام لخرجنا عن المقصود، وحسبنا أمثلة يسيرة تدلنا على غيرها، نوردها من غير تأويل ولا تعليق:

النص الأول: رؤيا منامية

ما ورد في مجموع كلام أحمد بن عمر بن سميط قوله (احفظوا من كلام الزيان ينفعكم فقد روي عن بعض المنتسبين إلى سيدنا العيدروس أنه لما مات وكان يحفظ القصيدة التي أولها (ببسم الله مولانا ابتدينا... الخ) رآه بعضهم في المنام أنه تنازع فيه

(١) تذكير الناس ص ١٩٩.

ملكا القبر أحدهما يريد تعذيبه فقال له الآخر: خلّه إنه يحفظ هذه القصيدة أعني المذكورة فقال له لكنه يغيرها فقال له لكنه يقيم هذا لبيت بلا تغيير وهو:

وذكر العيدروس القطب أجلى   عن القلب الصدا للعارفينا

ولما ذاكرا بهذه الحكاية سيدنا عبد الله الحداد رضي الله عنه قال ونحن نرجو أن نكون كذلك لأصحابنا أو كما قال.[١]

النص الثاني: موت الولي من أجل الناس

ما ورد في مجموع كلام أحمد بن عمر بن سميط قوله: (وقع زمان عظيم وقحط في زمنه ـ محمد بن أبي بكر باعباد ـ لأنها كانت تقع أزمنة عسرة يعدم القوت فيها، فجاء إليه بعضهم فقال له يا سيدي: أنت في الوجود والناس في هذه الحالة فقال: من أنا ومن أكون؟ اعترافا من الشيخ رضي الله عنه، ثم جاء رجل من حريضة وهم في المجلس فقال: هذا اليوم آدمي أكل حذية من شدة الجوع فقال الشيخ: كيف قد الناس في هذه الحالة؟ واشتغل جم وقال بانتوجه إلى الله ولكن معاد تطول بي هذه الحياة، قال سيدنا: فأخذ ثمانية أيام وتوفي، وفدى الناس بنفسه ورحم الله أهل الأرض رضي الله عنه).[٢]

(١) ص ١٠٠.
(٢) ص ١٨١.

النص الثالث: التصرف في السلاطين

ما ورد في مجموع كلام أحمد بن عمر بن سميط (صبر الشيخ معروف باجمال على أذى بدر المذكور، وكان قدّم ذلك له شيخه الأخضر حين كوشف: أن السلطان عبد الله بن جعفر والد بدر المذكور اعترض على الشيخ الأخضر في شل عرضة بين بعض القبائل فقال عبد الله المذكور كلاما لا يليق بحال الشيخ وهو حينئذ ببندر الشحر والشيخ الأخضر بمكانه بدوعن وعنده الشيخ معروف والشيخ عمر بامخرمه فمد إصبعه الشيخ الأخضر وقال:

رحمة الله على من مات في وسط سمعون   رحمة شاملة والعفو مرجو ومسهون

ثم قال للمذكورين: وقعنا في عبد الله بن جعفر ولكن حمّلوا نحن أولاده، من منكم بايتحملهم فقال الشيخ عمر: ما أقدر على الحمولة وقال الشيخ عروف: العبد في الطاعة فقال له الشيخ الأخضر شفهم بايؤذونك فكان كما قال من أذاهم له.

فصبر على ذلك لأجل ما تحمله، وعرف ما يترتب على ذلك، سحب رضي الله عنه في سوق سلّوم فكان يضحك ويدعو لهم، فقيل له كيف تضحك؟ فقال نلت ثوابا ما نلته بصلاة ولا صيام وأدعو لهم لئلا يقع حظي منهم ثواب وحظهم مني عقاب أو كما قال)[١]

---

(١) ص ٣٨٩.

النص الرابع: قدمي على رقبة كل ولي

ومما ورد في عقد اليواقيت الجوهرية قول العيدروس: (والله إن الله أعطاني ثلاثة أشياء: **الأول**: قدمي الطاهر اليمنى دعست على رقبة كل ولي لله تعالى في جميع الزمان من غير مبالاة.

. **والثاني**: أهل الرياسة كلهم تحت القدم من شرقها إلى غربها.

. **الثالث**: كل طالب رياسة أو غيرها أو طالب دين إذا خالف لا يرجى له خير أصلا. وقال: والله إني بي المبشرات في السموات من قبل مولدي بعشرين سنة، والله إني أعطيت عطية ما أعطيها أحد من قبلي ،ولا يعطاها أحد في زماني، ولا يعطاها أحد من بعدي).[١]

النص الخامس: الاطلاع على اللوح المحفوظ

ورد في عقد اليواقيت الجوهرية (قيل: من الكشف الذي لا يتخلف . وهو ما كان الاطلاع عليه من اللوح المحفوظ لا من ألواح المحو والإثبات . ما كان من كشف سيدنا الشيخ أحمد بن عيسى المهاجر إلى الله تعالى، في خروجه من البصرة إلى حضرموت لإطلاع الله له أنه لا يضر أولاده، ولا ينازعهم فيما هم عليه من الاستقامة والطريقة المثلى جور جائر ولا ظلم ظالم...).[٢]

---

(١) ص ١٤٩.
(٢) ص ٢٥٧.

النص السادس: الضحكة في طريق هود تسبيحة

ورد في عقد اليواقيت الجوهرية: (ويحث ـ أي أحمد بن علي الجنيد ـ على زيارة نبي الله هود ويأمر بها ويفرح بها فرحا عظيما ويقول: إن الضحكة في طريق هود تسبيحة).(١)

النص السابع: زيادة رزق الجهة الحضرمية

مما ورد في منحة الإله :(ومما سمعته منه بحاوي الخيرات بتريم ما يرويه عن الحبيب حسين بن أحمد بن عبد الله العطاس أنه يقول: إن السلف العلويين أهل البرازخ الحضرمية رضي الله عنهم تشاوروا في أن يدخلوا على سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بشفاعة فيما يزيد في رزق أهل الجهة الحضرمية لضيق معاشهم لضيق معاشهم ليشفع لهم لدى الحضرة الأحدية في قبول ذلك ففعل وأجابه الحق سبحانه وتعالى بأن الأرزاق كلها مقدرة من عندي وما يبدل القول لدي، وإنما عندي قيراطان من البركة فقل يا محمد يختارون أن أجعلها في أي الأقوات شاؤوا فأخبر صلى الله عليه وسلم السلف بلك فاختاروا أن يجعل البركة لهم في التمر فكان كذلك والحمد لله) انتهى بمعناه).(٢)

---

(١) ص ٥٣٨.

(٢) منحة الإله ص ٣٣٨.

النص الثامن: رفع عذاب البرزخ

مما ورد في منحة الإله (وسمعته يقول إن أخي سالم بن أبي بكر العطاس لما مات رفع العذاب من البرازخ شهر زمان! وإني قلت له مرة: ما نجد روحك في الدنيا قال روحي في البيت المعمور مع النبيين والصالحين)(١)

النص التاسع:

ومما ورد في منحة الإله: (أن الشيخ عمر المحضار هذا ـ أي ابن أبي بكر بن سالم ـ سمع رجلا يقول: يا شيخ أبو بكر بن سالم بعد موته قال: اذهب إليه وقل له قل يا عمر محضار هل ترى فيّ أنا شيء قاصر مما في والدي! ويذكر أيضا أن الشيخ عمر المحضار ابن الشيخ أبي بكر يقول: لا أرضى أن يكون حال أدنى تلامذتي مثل حال أبي يزيد البسطامي).(٢)

تنبيه

ولم نطلع بعد على العناية بكتاب تاج الأعراس، وهو كتاب ملئ بالحكايات التي هي من جنس ما سبق، ولا ندري كيف سيتم إيراد مثل هذه الحكايات منها ما سبق آنفا مثل: (خرجت إلى المسجد الحرام في بعض الليالي وطفت بالكعبة فحصل لي الاسراء الى السماء) وقوله (ناظري وناظر ناظري في الجنة).

---

(١) منحة الإله ١٥٤ ـ ١٥٥.

(٢) ص ١٣٨.

ومنها مما لم يسبق ذكره:

. (قال كنا مرة في بلد سدبة جلوسا عبد الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس في بيت وقت الهاجرة حين قام قايم الظهيرة وذلك زمن قحط وسنين وبالناس من الضائقة والجوع ما لا مزيد عليه فبينما نحن جلوس اذ أقبل الحبيب محمد بن أبي بكر العيدروس واستأذن على الحبيب عمر فأذن له وطلع وجلس عنده وقال يا سيد عمر بيتها مع من في هذه الساعة ولد ابليس الذي ما يدعي للناس بالرحمة) ص ٢٧ (ويعني بذلك القطبية الكبرى).

. (وكان من شأن الحبيب حسين المذكور تعتريه حالة المحو اذا دخل في الصلاة وربما تكلم فيها فانكر عليه بعض الفقهاء بدوعن فقدمه الحبيب في بعض الصلوات ليصلي به إماما فلما احرم ذلك الفقيه بتلك الصلاة اذا هو يشاهد الكعبة المعظمة عيانا حتى اتم تلك الصلاة ثم غابت عنه). ص ٥٧٣

. قول عمر بن عبد الرحمن العطاس للسلطان بدر بن عبد الله بن عمر حين استشاره لما خرج الإمام الزيدي للاستيلاء على حضرموت سنة ١٠٧٠ هـ ظنا منه أنه سينعم بقتالهم فقال له: لا تقاتلهم فإن هذا الأمر قضاء من الله مبرم... إلى آخر الحكاية ص ٠٦٦.

. خاتمة المطاف ووقفة أخيرة:

ولنمسك عنان القلم هاهنا، ونقف وقفة أخيرة في حذف النصوص وبترها من كتب أخرى ولكن لا علاقة للدكتور باذيب بها، منها ما حصل في كتاب لمعة النور من كلام علي بن عبد الرحمن المشهور طبع مقرونا بكتاب شرح الصدور بدار الأصول بتريم، ففي صفحة ٩٠٢ من المطبوع عند ذكر أحمد بن عمر المشهور قال: (وكان وليا مجذوبا مكاشفا، وأنه ينظر إلى من هو تحت العرش...) ا هـ وجاء في الهامش بياض بالأصل.

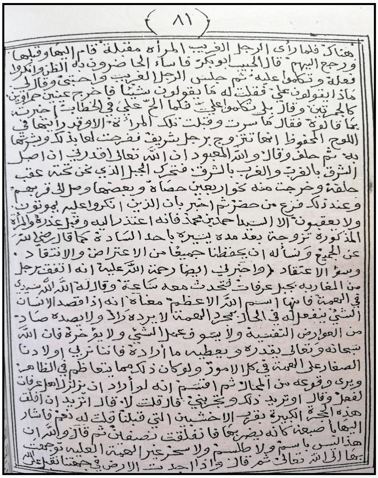
وهذه ثلاث وقفات مع هذه الحكاية:

١ . عند الرجوع إلى المخطوطة تبين المحذوف، وإليك النص كاملا صفحة ٤٧ بقوله: (وكان وليا مجذوبا مكاشفا، وأنه ينظر إلى من هو تحت العرش ويأكل من الحرام الصرف أحيانا، فيقال له في ذلك، فيقول: مرادي بالمراية تتكدر ما تكدرت) ا هـ

٢ . توجد حكاية أخرى تشبه هذه الحكاية منسوبة إلى عبد الله بن محمد المشهور وقد جاء في كتاب الخبايا في الزوايا ص ٧٦ أنهم قالوا عنه أنه كان من كبار الأولياء الأفراد الذين لا يدخلون تحت دائرة القطب، وكان لا يعبأ بقول علماء الظاهر له من الكرامات الكثيرة، والكشوفات الخارقة المنيرة، وكان يأخذ الحرام

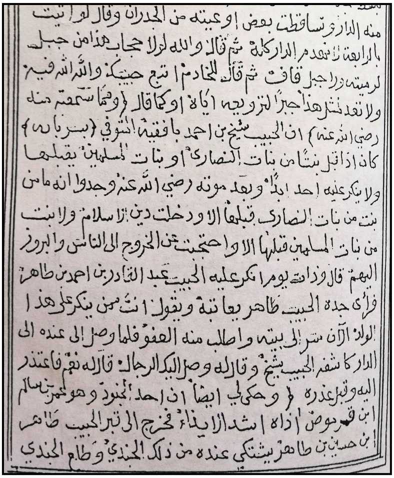
الصرف من الظلمة ويقول: (أرى من هو تحت العرش نريد المرآة أن تتغمش بأكل الحرام ما تغمشت، وأنكر عليه رجل بقلبه في عدم الصلاة طاهرا فلما أتى إليه رشه من لحيته بماء أصفر وقال والله إني توضأت من الكوثر) ا هـ

٣ . تأويل الصوفية لهذه الحكاية يأتي في إطار مقارنة الأضداد، فيزعمون أن الصوفي ترق نفسه وتلطف من جراء الرياضة الفلسفية التي فإن أوشك على التلف، لجأ إلى تخفيف الحالة اللطيفة بمقارفة الذنوب.



(٨١)

هناك فلما رأى الرجل الغريب المرأة مقبلة قام إليها وقبلها
ورجع إليهم قال الحبيب أبو بكر فساء الحاضرون به الظن وأنكروا
فعله وتكلموا عليه ثم جلس الرجل الغريب واحتبى وقال لي
ماذا يقولون عني فقلت له ما يقولون شيئا فأخرج عينين حمراوين
كالجمرتين وقال بلى تكلموا علي فلما ألح علي في الخطاب أخبرته
بما قالوه فقال ما سرت وقبلت تلك المرأة إلا وقد رأيتها في
اللوح المحفوظ إنها تتزوج برجل شريف ففرحت لها بذلك وبشرتها
به ثم حلف وقال والله المعبود إن الله تعالى أقدرني أن أصل
الشرق بالغرب والغرب بالشرق فتحرك الجبل الذي نحن تحته عقب
حلفه وخرجت منه كو أربعين حصاة وبعضها وصل إلى قربهم
وعند ذلك فزع من حضر ثم أخبر بأن الذين أنكروا عليه يموتون
ولا يعقبون إلا السيد أحمد بن محمد فإنه اعتذر إليه وقبل عذره والمرأة
المذكورة تزوجت بعد مدة يسيرة بأحد السادة كما قال رضي الله
عن الجميع ونسأله أن يحفظنا جميعا من الاعتراض والانتقاد
وسوء الاعتقاد (وأخبرني أيضا رحمة الله عليه أنه اتفق برجل
من المغاربة بجبل عرفات فتحدث معه ساعة وقال له الله الله يا سيدي
في الهمة فإنها اسم الله الأعظم معناه أنه إذا قصد الإنسان
الشيء يفعل له في الحال بمجرد الهمة لا يرده راد ولا يصده صاد
من العوارض النفسية ولا يسوف عمل الشيء ولا يؤخره فإن الله
سبحانه وتعالى يقدره ويعطيه ما أراده فإننا تربينا وأولادنا
الصغار على الهمة في كل الأمور ولو كان ذلك مما يتعاظم في الظاهر
ويرى وقوعه من المحال ثم أقسم أنه لو أراد أن يزلزل أهل عرفات
لفعل وقال أو تريد ذلك وتجربني قال قلت لا قال أتريد أن أفلق
هذه الحجرة الكبيرة بقرب الأخشبين التي قبلنا قلت له نعم فأشار
إليها بأصبعه كأنه يضربها فانفلقت نصفين ثم قال والله إن
هذا ليس باسم ولا طلسم ولا سحر غير الهمة العلية توجهت
بها إلى الله تعالى ثم قال وإذا أجدبت الأرض في جهتنا نقبل على الله



[illegible]
منه الدار تساقطت بعض أوعيته من الجدران وقال لو أتيت
بالرابعة لانهدم الدار كلها ثم قال والله لولا حجاب هذا من جبلته
لرميته وراء جبل قاف ثم قال للخادم اتبع حبيبك والله إنه فيه
ولا تعد نشر هذا خبرا لتزويجه إياها أو كما قال (ومما سمعته منه
رضي الله عنه) أن الحبيب شيخ بن أحمد بافقيه المتوفي (ببندر بانه)
كان إذا قبل بنتا من بنات النصارى أو بنات المسلمين يقبلها
ولا ينكر عليه أحد أبدا وبعد موته رضي الله عنه وجدوا أنه ما من
بنت من بنات النصارى قبلها إلا ودخلت دين الإسلام ولا بنت
من بنات المسلمين قبلها إلا واحتجبت عن الخروج إلى الناس والبروز
إليهم قال وذات يوم أنكر عليه الحبيب عبد القادر بن أحمد بن طاهر
فرأى جده الحبيب طاهر يعاتبه ويقول أنت ممن ينكر على هذا
الولي الآن سر إلى بيته واطلب منه العفو فلما وصل إلى عنده إلى
الدار كاشفه الحبيب شيخ وقال له وصل إليك الرجال قال له نعم فاعتذر
إليه وقبل عذره (وحكى لي أيضا أن أحد الجنود وهو عمر بن سالم
ابن قرموص آذاه أشد الإيذاء فخرج إلى قبر الحبيب طاهر
ابن حسين بن طاهر يشتكي عنده من ذلك الجندي وطالع الجندي

المقالة العاشرة

الإتحاف بشرح أبيات من رواية همام أو في بلاد الأحقاف

للأديب علي بن أحمد باكثير

تحقيق
أكرم بن مبارك عصبان

إن حضرموت في منتصف القرن الرابع عشر للهجرة كانت غارقة في الخرافة مقيدة بأثقالها، قد صرعها التصوف أسيرة للأوهام والجهالة، تنظر إما منا وإما فداء، وقد يقف الإنسان على هذا الانحراف الفكري أشتاتا في معاطف التراث الحضرمي، وتدعو الحاجة أن يلم شعث هذا الشتات في مصدر واحد يعرفه الناس، فإذا بوثيقة تلبي هذه الدعوة وتتقدم بشهادتها على هذا الواقع، وتقدم البينة التي تقضي بقبولها، إذ أن صاحبها مقبول العدالة، لا يختلف في ذلك أحد إنه الأديب الأريب علي بن أحمد بكثير.

نشأ بحضرموت وكان التصوف وأهله يبدي ويعيد في الحياة الفكرية، وجارى دعاته الغلاة من المتصوفة، فعكست معالمه إلى الطريقة الحضرمية، واصطبغ بصبغتها، وبذلك فقد هوت في مراحلها المتأخرة إلى هوة سحيقة، وتاقت نفس الأديب بكثير

إلى تغيير الواقع وإنكار الباطل بل، ونشر العلم الذي يقضي على السنوات العجاف التي عاشتها حضرموت، وأراد أن يصرع الخرافة فعاج على سلاح الكلمة والأدب والشعر، وهو أشد من وقع النبل.

إننا نريد أن نقطف من باكورة جهود الأديب علي بن أحمد باكثير ثمرة يانعة، ونتناول شيئا من طيبها الذي تضمنته مسرحية (همام في بلاد الأحقاف) فالأبيات تصلح أن تكون متنا نقوم بشرحه مع ذكر الأمثلة التي توضح المقاصد، وهي مرآة تعكس واقع حضرموت الفكري حين شقيت بالفكر الصوفي، وإنني طالما كنت أدندن حول الدعوة إلى التوحيد والعقيدة الصحيحة ونبذ البدعة ومحاربة الشرك، وهذه دندنة الأديب باكثير لهذه الغاية، ولا ضير في اختلاف الأسلوب فحولها ندندن، فلنأخذ من الأبيات ما يصور زيارة قيدون وما يجري حول ضريح سعيد بن عيسى العمودي ومعالم التصوف التي أراد أن يصورها.

والأديب قد دعا إلى تجريد التوحيد، وأن يستقى من ينبوعه لا من كتب أهل الكلام كالأشاعرة، فإنها لا تزيد النفس إلا حيرة لا كأسلوب القرآن، فالعقيدة الإسلامية عقيدة واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد، كالقمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، قائمة على النصوص من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، ونبذ منطق المتكلمين التي تعرج على بضاعة الفلاسفة، وتحاكم النصوص بالعقل.

كما اشتد نكيره على التعصب المذهبي والعكوف على كتب الجامدين، والانشغال بتصوير المحال، وينعي الأديب باكثير على المقلدين لآراء الرجال تقليدهم، ويصور، وأوصى بالعناية بكتب الحديث مثل بلوغ المرام وشرحه سبل السلام لما فيه من النصوص من الكتاب والسنة واجتهاد الأئمة، وينعي على من أغلق باب الاجتهاد، والذين نادوا بالتقليد، والاشتغال بأقوال الفقهاء، وصار القرآن على القبور يكرر ، وهو كذلك ينبذ الحزبية والتعصب.

والأبيات مليئة بالمعاني الإصلاحية، ونريد الوقوف عند زيارة قيدون في هذه العناوين.

الوفود إلى زيارة قيدون

توافى الناس أفواجا ... إلى قيدون كالذر
فمن ساعية تمشي ... ومن راكبة الحمر
هناك الساحة الكبرى ... تحاكي ساحة الحشر

يسلط الأديب باكثير الضوء على زيارة قيدون التي تكشف عن ما وراءها من زيارات وصاحب الزيارة هو الشيخ سعيد بن عيسى العمودي أحد كبار متصوفة حضرموت وهو ممن تحكم للشيخ عبدالله الصالح رسول مندوب الصوفي أبي مدين وقد اشتهر في وقته بالولاية وأفردت له التراجم ونسبت له الكرامات ولم يزل بدوعن

ذا شهرة وقد وافاه الأجل ١٧٦ هـ (ودفن بقيدون وله فيها مشهد عظيم مقصود للتبرك والزيارة وقد قيل أنه مجرب بحصول النجاح والفلاح وله زيارة سنوية يجتمع لها الناس من شتى نواحي حضرموت ومن غيرها وهي تكون في شهر رجب).(١)

وقد نسب له: (زيارتي بعد وفاتي أفضل من زيارتي في حياتي، ومن زارني أو زار من زارني فأنا ضمينه بالجنة، من زارني ثلاث مرات يتعنى ما له حاجة إلا زيارتي فأنا ضمينه بالجنة).(٢)

الوفود وأفواج الزائرين

. يبتدئ ورود الناس إلى البلد من يوم الخميس فيأتي أهل دوعن الأيسر فيظلون جنوبي صيف ثم يرتحلون إلى قيدون وإذا كان العشية أتى أهل الخابة يلعبون ويرقصون على الطاسة.

. ويدخل العبيد يوم الجمعة في زفتهم وقد أحاط بهم الغوغاء فيصلون قبة الشيخ والإمام يخطب فتمتلئ جوانب المسجد بضجيج المزامير وضربهم على التوابيت.

. أما أهل البادية من القبائل يصلون إلى رأس الجبل المشرف على قيدون عشية الخميس فإذا أشرفوا عليه هللوا يقولون عموم عموم يا شيخ سعيد ثم ينزلون العقبة ولهم في زمهم أشعار رصينة يصفون سيرهم وبعد شقتهم وأنهم يبغون

(١) تاريخ حضرموت تأليف صالح بن علي الحامد.

(٢) النور السافر.

الغيث فيذهبون إلى الضريح ويدورون بتابوته وسلمون ما أتوا به من نذور من غنم أو نقد أو حبوب للخطيب القائم فإذا قضوا الزيارة دخلوا المسجد وهم يزملون وطلعوا منارته بقولهم عموميا شيخ سعيد أي رحمة عامة ولا يزالون على هذا الديدن طول ليلة الجمعة ويومها قلما يرقدون أو يستريحون ويعودون إلى بلدهم يوم السبت.(١)

. وأما أهل التصوف فهم في ضيافة برزخية كما يزعمون يكونون في ضيافة برزخية ويحصل لهم من المدد والخوارق التي يدعونها، وربما أضافوا أن الشيخ سعيد خرج من تابوته مستقبلا بعضهم ومعانقه!!(٢)

. ومما يندى له الجبين حضور النساء حيث تمتلئ الشوارع بالنساء والرجال في زحام يتضاغطون يموج بعضهم في بعض.(٣)

---

(١) وإذا مرت لهم سنون ولم يغاثوا وتوهموا أن الشيخ عاتب عليهم يأتون بعقيرة من بقرة أو جمل يأتون بها يزفونها بزاملهم حتى إذا وصلوا إلى الباب الموصل إلى ضريح الشيخ عقروها ونحروها وهم يصيحون باسم الشيخ سعيد قائلين يا شيخ سعيد بحرك. انظر تفصيل ذلك في الشامل لعلوي بن طاهر الحداد.

(٢)وإذا مرت لهم سنون ولم يغاثوا وتوهموا أن الشيخ عاتب عليهم يأتون بعقيرة من بقرة أو جمل يأتون بها يزفونها بزاملهم حتى إذا وصلوا إلى الباب الموصل إلى ضريح الشيخ عقروها ونحروها وهم يصيحون باسم الشيخ سعيد قائلين يا شيخ سعيد بحرك. انظر تفصيل ذلك في الشامل لعلوي بن طاهر الحداد.

(٣) قال علوي بن طاهر في الشامل (وذوو العقائد الزائغة من الجهلاء والحمقى يعتقدون أن بحر الشيخ سعيد يحمل أثمهم ويسكت لهم على ذلك موهما لهم صحته من يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل)، وقال: (وأكثر المتسمين بالعلم تجبن نفوسهم من إنكار ذلك خوفا من أن يرميهم العوام والمتظاهرون بالتعالم والصلاح بفساد العقيدة لأنهم لا يقرون بحل الزنا والفسق للزناة والفساق في زيارة الشيخ سعيد مع أن بحره يسع).

الاستغاثة بالشيخ سعير

ولما حضر الوقت — تداعوا كضحى النفر
وأموا نحو قبر الشيخ — بالطبل وبالزمر
يصيحون ولي الله — جئناك إلى القبر
وكي تسبل يا قطب — علينا ضافي الستر
وفي الأنفس حاجات — بها يا سيدي تدري
أتيناك لكي تقضى — ونحظى منك بالسر

إن الزيارة مؤقتة بيوم الجمعة، وإذا أتت الوفود وحضر وقت الزيارة حصل الاستنجاد بالمقبور، يصيحون ويهتفون بالولي، وقد شهد الشيخ باصبرين بما أشار إليه الأديب باكثير، وهنا نجد أن من أعظم مشاعر المتصوفة ارتياد هذه الأضرحة سواء في المواسم أو غيرها وتحولت إلى تقديس الأضرحة ومناسك كالحج وجعل المقبورين وسائط وشفعاء والغلو في الصالحين وتعظيم قبورهم، صارت أعظم ذريعة إلى الشرك ، وهذا بسبب المخالفة في بناء القباب وتشييد المشاهد والخلط بين التوسل والاستغاثة وتلفيق ما يطلقون عليها كرامات لذلك الميت ويبثونها في الناس فتشيع وتروج لدى الجهال فيقع المحذر.

وكذلك القول بعقيدة القطب وهي من عقائد الرافضة كما قال ابن خلدون(وظهر منهم أ المتصوفة . أيضا القول بالقطب والأبدال وكأنه يحاكي مذهب الرافضة

فهو الإمام والنقباء وأشربوا أقوال الشيعة وتوغلوا في الديانة حتى جعلوا مستند طريقهم في لبس الرقة أن عليا رضي الله عنه ألبسها الحسن..)[١]

ومن المكر الذي أوقع الجهال في حبال الصوفية عقيد الأسرار والأنوار فهم يريدون الحظوة بالسر، وأنهم يعلمون ما بحاجاتهم، ويشفعون لهم في خطيئاتهم.

وذكر باكثير أنهم يطوفون بالقبر، ويقبلون التابوت، ويخضعون ويبكون ويشكون أحوالهم وضعفهم، ويقدمون نذورهم.

هكذا تنتهك أسوار التوحيد ويدعى غير الله، وتخلع على أقطاب المتصوفة وأوليائهم صفات الألوهية تحت مسمى القطب والولي الغوث، الذي يرون أنه يحمل أوزارهم ويشفع عند الله وهذا ضلال مبين، ويضعون حاجاتهم عنده كي تقضى إلى غير ذلك من ملامح الشرك.

ومما ورد في الشامل مما يؤيد ما ذكره باكثير في نزول الناس بحاجاتهم عند ابن عيسى وحاجة أهل البادية في الغيث فيأتون بالنذور والعقائر قوله: فإذا قضوا الزيارة دخلوا المسجد وهم يزملون وطلعوا منارته بقولهم عموميا شيخ سعيد أي رحمة عامة ولا يزالون على هذا الديدن طول ليلة الجمعة ويومها قلما يرقدون أو يستريحون ويعودون إلى بلدهم يوم السبت.

---

(١) المقدمة ص ٤٠٢.

ثالثا: وصف القبة

وقد جللت القبة	بالزينة والستر
وبيضات من البلور	علقن على الجدر
ومصباح كبير الضوء	مثل الكوكب الدري
وللتابوت معنى من	جلال العتق والقدر
قد اسود من التقبيل	في مختلف العصر

مما يعد من الذرائع المفضية للإشراك بناء القباب وتعظيمها، وقد أمر رسول الله بتسوية القبور المشرفة كما ثبت في حديث مسلم عن حيان بن حصين الأسدي المكنى بأبي الهياج قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ألا تدع قبرا مشرفا غلا سويته بالأرض).

وفي هذا النهي تحريم ما بني على القبور من قباب ووضع عليها من توابيت التي يقصد من فعلها تعظيم الميت وافتتان الزائرون به وقد كانت قبور السلف الصالح على هذا الهدي النبوي قال الشافعي في الأم ولم أر قبور المهاجرين والنصارى مجصصة قال الراوي عن طاووس عن رسول الله نهى أن تبنى القبور أو تجصص قال الشافعي وقد رأيت من الولاة من يهدم بمكة ما يبنى فيها فلم أر الفقهاء يعيبون ذلك).[١]

فهو تقليد شيعي في نشأته ثم جاء الصوفية فمشوا على مثاله وغزلوا على منواله وجعلوا أهم المشاعر عندهم هو البناء على القبور وزيارتها والتبرك بأحجارها وانتهى

(١) ص ٢٧٨.

المطاف إلى الاستغاثة بأصحابها، قال شيخ الإسلام (ولم يكن في العصور المفضلة مشاهد على القبور وإنما كثر ذلك في دولة بني بويه لما ظهرت القرامطة بأرض المشرق والمغرب وكان بها زنادقة كفار مقصودهم تبديل دين الإسلام...).(١)

قال الشوكاني (فإن الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور وقد بنيت عليه قبة فدخلها ونظر على القبور الستور الرائعة والسرج المتلألئة وقد سطعت حوله مجامر الطيب فلا شك ولا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيما لذلك القبر ويضيق ذهنه عن تصور ما لهذا الميت من المنزلة ويدخله من الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم كائد الشيطان للمسلمين)

وهذا وصفه باكثير بأنه تهيأ القبة وتجلل بلبوسها وتحاط بالزينة والأستار، وهي قبة كبير داخلها البلور على الجدران، والمصباح الكبير، ويتوسطها التابوت، ويتزاحم الزوار على تقبيله حتى اسود.

(١) مجموع الفتاوى ٢٧ / ١٦٧.

رابعا: من معالم التصوف

عليكم بخلوص القصيد في السر وفي الجهر
وبالتسليم للأقطاب بالخدمة والصبر
وإياكم وسوء الظن بالصوفية الغر
فأهل الله هم جازوا مناط النهي والأمر
ملوك لهم التصريف في البر وفي البحر

يتحدث الأديب باكثير على لسان أحد المتصوفة الذي انبرى واعظا في الزيارة يمدح الصوفية وما هم عليه ويذم المنكرين عليهم ويوضح بعض معالم التصوف التي يدعو إليها الناس وأهمها :

ـ أولا: إخلاص القصد والتسليم للأقطاب

وهذا أصل أصيل في الطريقة الصوفية يأخذون عليه المواثيق والعهود منذ أن يضع المريد قدميه على عتبة التصوف، فالعقد بين الشيخ والمريد قائم على التسليم وعدم الاعتراض، ويكون المريد كالميت بين يدي غاسله، ويسلم له ولو كان على المخالفة، وهم لا يتورعون في هذا المقام أن يستدلوا بقصة الخضر مع موسى عليهما السلام يتأولونها بغير تأويلها، وهو تأويل ساقط بالقول بنبوة الخضر عليه السلام.

وتحتوي دواوين متصوفة حضرموت وتراثهم على ركام من القصص التي تدل على هذا الأمر، ومن دائرة التسليم لهم عدم الإنكار عليهم في التصرف في الأموال، ومجالسة النساء، فمن الجنس الأول أن العدني كان يلام على تفريق الأموال الكثيرة ويقوم بتصرفات مالية يصرفها في الظاهر في غير مصارفها فسأل الشيخ محمد عمر بحرق الفقيه محمد باجرافيل عن تلك التصرفات فأجابه بقوله أشهد أنه أمير المؤمنين المالك للتولية والعزل والعقد والحل والتصرفات جميعها وأنه اليوم أفضل أهل الأرض ظاهرا وباطنا، ومن الجنس الثاني ما في الجوهر الشفاف لما أنكر أبو حميد على محمد بن علي لاطفته نسوة كان له بهن علاقة من جهة الأم فلما نام وقام من نومه وأراد أن يتوضأ فإذا هو قد فقد فرجه وخصيتيه وبقي كالمرأة فأتى إلى الشيخ محمد بن علي مستغفرا فقال له الشيخ نحن ما نخاطبهن إلا ونحن مثلك فرجع لأبي حميد ما فقد.[١]

. ثانيا: سقوط التكاليف

وقد عبر عنه الأديب باكثير بقوله (جازوا مناط النهي والأمر) وهذا مسلك غلاة الصوفية حيث يقررون بأن الصوفي إذا وصل إلى مقام اليقين سقطت عنه العبادة , مؤولين قول الله عز وجل (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي إن وصلت إلى اليقين سقطت عنك التكاليف، وقول هؤلاء كفر صريح، لأن الأمر والنهي لا يسقط عن الإنسان إلا بالموت.

---

(١) الجوهر الشفاف (مخطوط) ومواهب القدوس.

والمراد باليقين في الآية الموت لحديث أم العلاء الأنصارية وكانت من المبايعات وفيه: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما عثمان أعني عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين وإني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به) رواه البخاري

. ثالثا: دعوى تصرف الأقطاب في الكون

وممن نسبوا له هذه الصفة جماعة منهم الفقيه المقدم، بأنه كان من المتمكنين في التصريف بعد موته! ووصف ابنه علوي كما في البرقة المشيقة وكان في صغره معروفا بكرامات كثيرة، وأنه ممن أذن له في كمال التصريف المطلق بإذن الله، والسقاف قالوا أنه لم يكن في زمانه أنفذ تصريفا، ولا أمضى حكما في الكون منه، ولا معقب لحكمه، والي الدنيا كلها من شرقها إلى غربها!!! وكتب على قبر عمر المحضار (هذا سلطان في كل زمان ومكان ومتصرف بإذن مولاه في جميع الأكوان) وقيل عن أبي بكر بن سالم كما في النهر المورود قوله: أعطاني الحق التصريف في الكون حيا وميتا، وقال لي: يا عبدي ملكي ملكك تصرف فيه كيف شئت فأخذت الذي يليق ويحمد!! ومما يردد وأشار إليه الأديب باكثير:

ملوك على التحقيق ليس لغيرنا ... من الملك إلا رسمه وعقابه

خامسا: من خرافات التصوف

حسن الظن بأهل السر يا خادمي تحظ بجنات النعيم
آه لو يعرفني هذا الورى لأتوني من قصيات التخوم
أنا جيلاني هذا العصر قد وطئت رجلاي أعناق النجوم
خضت بحرا وقف الخلق على ساحليه في ذهول ووجوم
من رآني أو رأى من رآني فهو محظور على نار الجحيم

من خرافات التصوف في هذه الأبيات :

. قدمي على رقبة كل ولي

هذه العبارة نسبت إلى عبد القادر الجيلاني وسيرته تأباها، وهي تجسد ظاهرة الشطحات عند المتصوفة، وقد سئل أحمد بن حسن العطاس في مصر سنة ١٣٢٥ هـ في قول الشيخ عبد القادر قدمي هذه على رقبة كل ولي هل قالها بلسانه أم قيلت على لسانه فأجابهم: (قال الشيخ عبد القادر هذه الكلمة بلسانه وقليل في حقه ولا يزال في كل زمان قائل بهذه الكلمة وقد ذكر ذلك المقام ورتبته والقائل به الشيخ محي الدين ابن عربي في الفتوحات) انظر تذكير الناس

وممن نسبت إليه من صوفية حضرموت جماعة منهم :

١ . عبد الله العيدروس في قوله كما في عقد اليواقيت (والله إن الله أعطاني ثلاثة أشياء: الأول قدمي الطاهر اليمنى دعست على رقبة كل ولي لله تعالى في جميع

الأزمان من غير مبالاة. والثاني أهل الرياسة كلهم تحت القدم من شرقها إلى غربها. والثالث كل طالب رئاسة أو غيرها أو طالب دين إذا خالف لا يرجى له خير أصلاً وقال والله إن المبشرات في السماوات من قبل مولدي بعشرين سنة والله أعطيت عطية ما أعطيها أحد من قبلي ولا يعطاها أحد في زماني ولا يعطاها أحد بعدي).

وقد نظم الشطحة الأولى شيخ بن عبد الله العيدروس كما في المنهل العجيب:

فابن أبي بكر عيدروس الولي العارف المكين

قال قدمي إلى أم رؤوس بأمر ذي القوة المتين

٢ ـ معروف باجمال كما في مواهب البر الرؤوف في قوله (قدمي على رقبة كل ولي لله).

٣ ـ عمر بن عبد الرحمن العطاس كما في تنوير الأغلاس حيث قال (قدمي على رقبة كل ولي لله تعالى) قال أحمد بن حسن وهو جدير بها.

ـ خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله.

وهذه العبارة نسبت إلى أبي يزيد البسطامي ـ أحد كبار مشايخ الصوفية – وهي قاعدة عند الصوفية حيث زعموا أنهم أصحاب الكشف والعلوم اللدنية، ولم يقتفوا

أثر الأنبياء قصصا، بل اختطوا لأنفسهما مسلكا أمشاجا من الفلاسفة والباطنية، ومحصلة غايتهم الفناء والمحو، ومنهم من ينزل من عقبته إلى الوحدة.

وأثمرت هذه الغاية دعاوى عريضة استعاروا فيها خصائص الربوبية والألوهية تحت مسمى القطبية والغوثية، وأنهم خاضوا البحر بالمجاهدات وهي مشارب فلسفية نكرها أهل الحق.

وجاء في كنوز السعادة في قول (خضت بحرا وقف الأنبياء بساحله) أن الوارث للمقام المحمدي تخلع عليه خلعة الوراثة وليس هذا الكلام من قول أبي يزيد بل هو قول الخلعة.

ومما نسب إلى الفقيه المقدم ويدخل تحت هذه العبارة كما في الجوهر الشفاف: ما لي حاجة إلى محمد ومحمده، وانتقدها عليه الفقيه بافضل وباطحن، وأنه عرج به إلى سدرة المنتهى سبع مرات في ليلة واحدة وفي رواية سبع وعشرين مرة وفي رواية سبعين مرة وفي الحكاية الثامنة والثلاثون من الجوهر أن فضل بن عبدالله يقول دابة الفقيه محمد بن علي تعرف طرق السماء كما تعرف طرق الأرض، والأمثلة على خوضهم البحر الذي وقف الأنبياء بساحله كثير لا يسع المقام ذكرها.

. من رآني أو رأى من رآني فهو في الجنة

وهي عبارة نسبت لكثير من مشاهير المتصوفة كما نسبتها كتب التراث الصوفي بحضرموت لعدد من أقطاب الطريقة :

١ . أبو بكر بن سالم كان يقول كما في شرح العينية: ناظري في الجنة! فقال عبد الرحمن بن شيخ عيديد يقول لمن حضره كما في شرح العينية: انظروا إليّ لأني نظرت الشيخ أبا بكر وناظره في الجنة زاد في) عقد اليواقيت (وناظر ناظري.

ورواية النهر المورود: فأنا ضمينه غدا في الجنة وأن يتخلص من ذنوبه غدا كالمولود من بطن أمه ولو كانت ذنوبه تملأ السموات والأرض.

٢ . عبد الله الحداد كما نسبها له لصالح بن عبد الله العطاس ت ٩٧٢١ هـ أنه يقول: ناظري وناظر ناظري في الجنة! فقال صدق الحبيب عبد الله في قوله وأنا أقول كذلك ناظري وناظر ناظري في الجنة.

٣ . علي بن حسن العطاس ت ٢٧١١ هـ كما في تاج الأعراس أنه قال: ناظري وناظر ناظري في الجنة.

٤ . أبو بكر بن عبد الله العطاس أنه قال: من رآني أو رأى من رآني . وهكذا إلى أن انقطع نفسه . فأنا ضمين له بالجنة.

٥ . محمد صاحب سواكن أنه كان يقول ناظري وناظر ناظري ويكررها حتى ينقطع نفسه نفسه في الجنة انظر تنوير الأغلاس.

وهذا كلام إيراده فضلا عن تصوره يغني عن الرد عليه وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ومما يأتي في الخرافات ما عبر عنه باكثير على لسان بعض التائبين :

لقد غرني وعد ذاك الولي بمحو خطيئاتي الخالية
وبشرني أنه قد رأى قصوري في الجنة العالية
فلم أتزود لدار البقاء اتكالا على الزلف الواهية

. الضمان بالجنة

وسجلت هذه العبارة لجماعة غروا بها أتباعهم منها ما في الجوهر الشفاف للفقيه المقدم، ومن ذلك كما في شرح العينية لمحمد بن علي مولى الدويلة، وكذا العيدروس من ضمانه بالجنة لمن جعل الإحياء أربعين مجلدا، وقول ابن شهاب الدين من بشرني بقوم ابن سالم من هود سالما ضمنت له على الله الجنة.

وكذلك امتلاك الشفاعة التي تنافسوا فيها فالفقيه المقدم كما في الجوهر كان يقول علي من القارة إلى قبر هود يعني ألتزم لهم بالشفاعة قال مريده باعباد يعني أنه يدخل سلطنة نهد في شفاعته

وزعموا أن سعيد بن عيسى العمودي يشفع لثلث الأمة كما في قصعة العسل، والسقاف يشفع لأهل قرنه الذي ولد فيه والقرن الذي مات فيه، وقيل شفاعته من قاف إلى قاف، وعمر المحضار يشفع لأهل تريم، وعمر بامخرمه يشفع في أهل سيؤن، والخطيب في أهل تريم، والحداد قال أهل تريم في القصعة، وأبو بكر بن سالم

شفعه الله في أهل عصره، وأبو بكر العطاس قال شفعني الله في أهل عصري كلهم إلا شيابة آل فلان، انظر الجوهر الشفاف والمشرع الروي.

الخاتمة

أرأيتمْ بعد إجالةِ الفكر، وإمعان النظر في هذه المقالاتِ نعمة العافيةِ والسلامةِ من التلبّسِ بهذه المخالفاتِ، وهل أدركتم غربةَ كثيرٍ من مصطلحاتِ المتصوفةِ عن معالمِ الحقّ، ولا شكّ أن واجبَ النصيحةِ للدينِ أن ننفي عنه تحريفِ الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحالِ المبطلين، حتى يعودَ للدين بهاؤه، وجمالُه مما علقَ به من الخرافاتِ، لاسيّما في ظلِّ النشاطِ الصوفي الذي يسعى دعاته لإعادةِ مفاهيمه الباطلةِ والترويجِ لها.

فكم أضرّت هذه المفاهيم بالإسلامِ، باسم الكرامات تارة، وباسم الشطحاتِ تارة أخرى، وباسم التوسل بالصالحين تارات كثيرة، ورحم الله الشيخ أَبا عمرو ابن الصلاحِ حيث أَمر بانتزاع مدرسة معروفَة من أَبي الحسنِ الآمدي وقَال: أَخذها منه أفضل من أَخذ عكا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى: (مع أن الآمدي لَم يكن فِي وقته أَكثَر تَبحرا فِي الفنون الكَلامية والفلسفية منه وكَان من أَحسنهِم إسلاما وأمثَلهِم اعتقادا).

فلولا قيامُ أهل العلم بكشف الستارِ عن الباطل وتعريته لرأيت فئاما من الناسِ

غارقين إلى الأذقان في وحل الخرافةِ، قد علقوا في شباكها، ولكنها حججُ الحقّ وسهامه وخيلُ الأدلة والبيان تصول في الميدان حتى غدت تلك الخرافاتُ والشبهات صرعى، ولولا بيانُ الحقّ لاغترّ القاصرون بمسمياتِ الولاية الجوفاء، وما يخلعون على أصحابها من ألقاب وقصدوا أضرحتهم، حين تفنن الصوفية في عرض مناقبِهم إلى حدود بعيدة في الغلو.

إن في كشفَ الباطل وتجليةِ جماعة ابن عربي وأرباب الخرافات تمييز لأهل الزهد، فلو تزيّلوا عن المبطلين فلا تلحق الذامين للتصوف معرة بغير علم.

إنّ في جلاءِ الحقِّ ووضوحه وتعرية الباطل وكشفِه صيانةٌ للحقِّ من أغراض الحاقدين حين يرمونه بما هو بريء منه، من ترهات المتصوفة الذين يفتحون الباب لأعداء الملةِ ينفذون منه، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

وكتبه / أكرم بن مبارك عصبان شعبان ١٤٤٤ هـ



/e7ssann /e7ssann /e7ssann

/e7ssann.com /e7ssann organisation

عشر مقالات

في التصوف الحضرمي



بقلم

أكرم بن مبارك عصبان